



جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة غليزان
Université de Relizane

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية
التخصص: لسانيات عامة

المعهد اللساني في الخطاب القرآني في ضوء الوظيفة اللفظية سورة المائدة-أنموذج-

إشراف الدكتورة:
د / عدة مجدد

العربي
إعداد الطالبة:
فايز فاطمة

لجنة المناقشة:

- 1- د/ بكوش يوسف جامعة غليزان رئيسا
2- د/ عدة مجدد جامعة غليزان مشرفا
ومقررا
3- د/ بوقفحة محمد جامعة غليزان عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1447/1446هـ

2025 - 2026م

اهداءات

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [المجادلة: 11]

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أولى الناس بمحبتتي إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها، والتي لم تبخلني يوما من دعائها وبركاتها أُمي العزيزة وإلى الذي أنفق الغالي والرخيس وتحمل الصعاب أبي الغالي، وإلى كل إخوتي، إلى كل أفراد عائلتي، وإلى كل أصدقائي، وكل من ساهم من قريب أو بعيد لأصل إلى ما أنا عليه الآن العمل المتواضع.

*** إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي ***

فاطمة



شكر وتقدير

عملا بقول النبي : "من لم يشكر الناس لم يشكر الله "، فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا كما ينبغي لجلال شأنه وعظيم سلطانه، ومن تتمة شكر الله سبحانه وتعالى أن أقر شكر العباد لبعضهم، نحمد الله حمدا كثيرا على عظيم فضله، ووافر نعمته، وعلى توفيقه لنا على إتمام هذا البحث، ونسأله مزيدا من التوفيق والسداد بإذنه.

كما أتوجه بخالص الشكر والعرفان والامتنان إلى الأستاذ " عدة مجدد "، الذي تفضل بتأطيري ومتابعة حيثيات هذا العمل جعله الله في ميزان حسناته، كما أشكر كافة موظفي جامعة أحمد زبانة بجليزان..

كما لا يفوتني أن أشكر لجنة المناقشة التي تفضلت بمناقشة هذا البحث، وأهدت إلينا نقائصها ونقحتها بالنقد الهادف البناء في سبيل بناء دراسة علمية أكاديمية متكاملة.

مقدمة

مقدمة:

تعد الدراسات اللسانية الوظيفية من أبرز الاتجاهات الحديثة التي سعت إلى تجاوز حدود التحليل البنيوي الصوري للغة، بالتركيز على الوظائف التداولية، والإفهامية التي تؤديها البنى اللغوية داخل السياقات التواصلية، وقد انبثقت عن هذا التوجه ما يعرف بالوظيفة الإفهامية التي تنظر إلى اللغة بوصفها أداة لتحقيق الفهم

والإفهام لا مجردة سيق شكلي مستقل، ومن هذا المنطلق أصبح البحث في المعهود اللساني من القضايا الأساسية التي تستدعي الوقوف عند كيفية اشتغال اللغة في ضوء المعرفة المشتركة بين المتكلم والمتلقي وما يترتب عنها من توجيه للخطاب وتحقيق لمقاصده الدلالية والتواصلية.

ومن هنا يسعى البحث إلى استجلاء مظاهر المعهود اللساني في سورة المائدة، والكشف عن أبعاده التداولية والإفهامية من خلال توظيف مبادئ اللسانيات الوظيفية، وتحليل الكيفية التي أسهم المعهود في بناء الدلالة وتحقيق الاتساق والتواصل داخل الخطاب القرآني.

وبناء على هذا المعطى وقع اختيارنا على موضوع المعهود اللساني في ضوء الوظيفة الإفهامية، وذلك لجملة من الدوافع والأسباب العلمية والمعرفية والمنهجية أبرزها:

✍ الرغبة في الكشف عن الأبعاد التداولية والإفهامية التي يحققها المعهود اللساني داخل الخطاب القرآني؛

✍ المعهود اللساني من الموضوعات التي لم تحظ في حدود الاطلاع بدراسة موسعة تجمع بين اللسانيات الوظيفية والخطاب القرآني؛

✍ توظيف المناهج اللسانية الحديثة في خدمة الدراسات القرآنية؛

✍ إبراز قدرة النص القرآني على استيعاب القراءات اللسانية المعاصرة.

وتتمثل إشكالية هذا البحث من خلال استجلاء العلاقة بين البنية اللغوية، والسياق التداولي في النص القرآني، والكشف عن كيفية توظيف المعهود اللساني بوصفه عنصرا فعالا في تحقيق الفهم والإفهام داخل الخطاب القرآني، ومن هنا نحاول الإجابة عن الاشكال الرئيسي:

✓ كيف يسهم المعهود اللساني في ضوء المقاربة الوظيفية الإفهامية في بناء الدلالة وتحقيق الافهام داخل الخطاب القرآني ؟

وتنتفرع عن هذا الإشكال عدد من التساؤلات أهمها :

✓ ما المقصود بالمعهود اللساني ؟ وما ابرز تجلياته في الدراسات اللسانية الوظيفية الحديثة ؟؛

✓ ما الآليات اللسانية والتداولية التي اعتمدتها سورة المائدة في توظيف المعهود اللساني لتحقيق التواصل والإفهام ؟؛

✓ إلى أي مدى تسهم المقاربة الوظيفية الإفهامية في الكشف عن الأبعاد الدلالية والتواصلية للنص القرآني؟.

وتتمثل أهداف هذا البحث في:

✍ إبراز دور المعهود اللساني في بناء الدلالة وتحقيق الإفهام داخل الخطاب القرآني وبيان أثره في توجيه المتلقي نحو المقاصد النصية؛

✍ توضيح العلاقة بين البنية اللغوية والسياق التداولي في ضوء اللسانيات الوظيفية وبيان كيفية اسهامهما في تحقيق الانسجام النصي و التواصل الإفهامي؛

✍ الإسهام في ربط الدراسات اللسانية الحديثة بالدراسات القرآنية مما يعزز الاستفادة من المناهج المعاصرة لفهم الخطاب القرآني وتحليله.

وتتجلى أهمية هذا البحث في كونه يجمع بين الدراسات الحديثة والدراسات القرآنية، من خلال معالجة موضوع المعهود اللساني في ضوء المقاربة الوظيفية الإفهامية بما يسهم في الكشف عن الأبعاد التداولية ولتواصلية للخطاب القرآني، ومن

أجل أن تخرج الدراسة بالشكل المطلوب جاء هيكل البحث مكونا من مقدمة، ومدخل، وفصلين، مزيلين بخاتمة شملت النتائج التي أفرزتها الدراسة .

فجاء المدخل في شكل قراءة في المفاهيم العامة؛ أما بالنسبة للفصل الأول فجاء موسوماً بـ "المعهد اللساني والوظيفة الإفهامية"؛ إذ تتضمن المباحث الآتية "جذور المعهد اللساني، أنواع المعهد اللساني، وعلاقة المعهد اللساني بسياق اللغة وثقافة المخاطبين وثقافة المخاطبين، دور الوظيفة الإفهامية في الدرس اللساني، أما الفصل الثاني فكان معنوناً بـ "تجليات المعهد اللساني وأثره في الإفهام-سورة المائدة"؛ من أهم المباحث التي اندرجت تحته: رصد وتحليل الأساليب اللغوية في سورة المائدة، ومناسبة الأساليب لحال المخاطبين لتحقيق الإفهام.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن أتبع المنهج الوصفي الذي يعتمد على آلية التحليل والاستقصاء، والمنهج التداولي المتمثل في الأبعاد الوظيفية للمعهد اللساني ومقتضيات المقام، من حيث دراستها في ضوء نظرية أفعال الكلام، بغية تحقيق الغاية المنشودة من هذا البحث بشكل أكاديمي متكامل.

ومن أهم المصادر والمراجع المعتمدة في موضوع البحث :

✍ كتاب الموافقات للشاطبي؛

✍ المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، وضع الشريعة للإفهام لدى الإمام الشاطبي للدكتور مجدد عدة.

من الصعوبات التي واجهتني: تداخل المفاهيم اللسانية المرتبطة بالمعهد اللساني، وحدائث المقاربة الوظيفية الإفهامية، والحاجة إلى الإلمام بالكم المعرفي في مجال هذا البحث، وصعوبة الجمع بين التحليل اللساني الحديث والخصوصية الدلالية والبلاغية للنص القرآني .

وفي الختام أشكر الله عز وجل الذي وفقني في إنجاز هذا البحث ، وأتقدم
بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل والكريم "مجدد عدة" المشرف على هذا العمل
ومتابعته الدائمة وتوجيهاته المستمرة لي، وإلى كل من مد يد العون لي، كما أتقدم
بالشكر والامتنان للجنة المناقشة على تكبدها عناء قراءة هذا العمل، وتوجيهي إلى
ما هو أصوب.

2026/05/24 :

(الطالبة: "فايز فاطمة")

المدخل: قراءة في المفاهيم العامة

1. مفهوم المعهد اللساني
2. مفهوم الوظيفة الإفهامية
3. مفهوم الأميين

1. مفهوم المعهود اللساني:

1.1 لغة: هو اسم مفعول من الفعل "ع ه د"، ويدور معناه في المعاجم اللغوية حول الاحتفاظ بالشيء وتجديد المعرفة به والالتزام بحفظه، حيث يقول ابن فارس: "العين والهاء والdal أصل هذا الباب عندنا دال على معنى واحد، وقد أوماً إليه الخليل: قال: أصله الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهدية به، والذي ذكره من الاحتفاظ هو المعنى الذي يرجع إليه فروع الباب،¹ والمعهود هو الأمر أو الشيء الذي عُرفَ، يقال: عهد الشيء عهداً إذا عرفه، والعهد مَصْدَرٌ مسمى به، المنزل المعهود به الشيء، والمعهود هو المعروف في مجاله، وفي مجال الاتصال اللغوي.²

2.1 اصطلاحاً: هو عادات العرب وأعرافها في استعمال اللغة ووجوه أساليبها في التعبير عن مقاصدها، واختلاف سننها ومنازعتها في تلقي الخطاب وفهمه وتحمله وقت نزول الوحي.³

1- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة العربية، تحقيق: عبد السلام محمد، هارون، دار الفكر، ج4، (عهد)، (د.ط)، (د.ت)، ص 168.
2 - أحمد شيخ عبد السلام، معهود العرب في تلقي الخطاب الديني، 2026/01/24، ص 02.
3- قلّاش عمر، معهود العرب اللساني عند الشاطبي، قراءة تجديدية في مناهج تأويل الخطاب الشرعي، المجلد 17، العدد 02، (ديسمبر 2023)، جامعة وهران، 2023/12/18، ص 15.

والمعهود مهم في تفسير النص الشرعي في كونه ضابطاً مرجعياً، ومعياراً محكماً في تفسير النصوص واستنباط الأحكام، وتحصيل مقاصدها، وأداة واقية من الخروج عن قصد الشارع.¹

1.2.1 التعريف الاصطلاحي للمعهود عند الشاطبي

يقول الإمام الشاطبي في كتابه 'الموافقات': "إن هذه الشريعة المباركة عربية، لا مدخل فيها للألسن العجمية...، وإن القرآن نزل بلسان العرب في ألفاظها الخاصة، وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجهه، والخاص في وجه آخر، وبالعام يراد به الخاص، والظاهر يراد به غير الظاهر".²

كما يشير أيضاً إلى أن هذه الشريعة المباركة أمية؛ لأن أهلها كذلك، مستدلاً على ذلك بـ:

النصوص المتواترة اللفظ والمعنى: كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]، وفي الحديث: "بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ"؛ لأنهم لم يكن لهم علم

1- قلائش عمر، معهود العرب اللساني عند الشاطبي، قراءة تجديدية في مناهج تأويل الخطاب الشرعي، مجلد 14، العدد 2، ص 15.

2- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، شرح وتخريج: الشيخ عبد الله دراز، ترجمة: الأستاذ محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت القسم الثالث، ط 1، (1425هـ-2004)، ص 255.

بعلوم الأقدمين، والأُمّي منسوب إلى الأم،¹ وقوله أيضاً في الحديث: "نحن أمة أُمّيّة لا نَحْسُب ولا نَكْتُب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا".

✍ أن الشريعة التي بُعث بها النبي الأُمّي ﷺ: إلى العرب خصوصاً وإلى سواهم عموماً، إما أن تكون على نسبة ما هم عليه من وصف الأُمّيّة أولاً فإن كان كذلك فهو معنى كونها أُمّيّة أي منسوبة إلى الأُمّيين، وإن لم تكن كذلك لزم أن تكون على غير ما عهدوا... فلا بد أن تكون على ما يعهدون، والعرب لم تعهد إلا ما وصفها الله به من الأُمّيّة، فالشريعة إذاً أُمّيّة.

أنه لو لم يكن على ما يعهدون لم يكن عندهم معجزاً، ولكانوا يخرجون عن مقتضى التعجيز بقولهم هذا غير ما عهدنا، إذ ليس لنا عهد بمثل هذا الكلام.²

وفي حديثه عن مقصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام أورد الشاطبي قاعدة محورية هي: "أنه لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأُمّيين - وهم العرب - الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ عليه والأساليب".³

كما يضيف الشاطبي في هذا الجانب مؤكداً بأن يكون الإفهام عاماً لجميع العرب، فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرّون بحسب الألفاظ.

1 - الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ص 258.

2 - المصدر نفسه، ص 258 - 259.

3 - الشاطبي، الموافقات، شرح وتخريج عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت ج3، ص 265 - 266.

والمعاني... لم يكونوا يتعمقون في كلامهم ولا في أعمالهم إلا بمقدار ما لا يُخلّ بمقاصدهم، اللهم إلا أن يقصدوا أمراً خاصاً لأناس خاصة كالكنايات والرموز... إلخ، فالحاصل أن الواجب في هذا المقام، إجراء الفهم في الشريعة على أوزان الاشتراك الجمهوري الذي يسع الأميين كما يسع غيرهم.¹

وفي جانب آخر أكد الشاطبي على الاعتناء أيضاً بالمعاني المبتوثة في الخطاب وهو المقصود الأعظم، بناءً على أن العرب إنما كانت غايتها بالمعاني بل أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنما هو وسيلة لتحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود،² إضافة إلى المعاني أولى الشاطبي اهتماماً آخر حول قضية التكاليف سواء الاعتقادية أو العملية فهو يرى بأنها يجب أن تكون مما يسع الأمي تعقلها ليسعه الدخول تحت حكمها، أما الاعتقادية فهي تكون من القرب للفهم، والسهولة على العقل، بحيث يشترك فيها الجمهور... فإن لم تكن الشريعة عامة لم تكن أمية وقد ثبت في كونها كذلك، وأما العمليات فهي من مراعاة الأمية فيها أن وقع تكليفهم بالجلال في الأعمال والتقريبات في الأمور، بحيث يدركها الجمهور مثل معرفة أوقات الصلوات بالأمور المشاهدة لهم كطلوع الفجر؛ الشمس؛ غروبها والشفق... إلخ.³

2. مفهوم الوظيفة الإفهامية أو التأثرية:

¹ - المصدر نفسه، ص 267-268

² - المصدر نفسه، ص 267-268.

³ - الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ص 269-270.

1.2 الفهم

1.1.2 لغة: يتصرف المعنى اللغوي للفهم إلى الإدراك القلبي والعقلي، فهو "معرفتكَ الشيء بالقلب"،¹ ويقال: "فهمت الشيء، أي عقلته وعرفته"، ويستخدم الفعل "أفهمته" للدلالة على إيصال المعنى، و"تفهمت الكلام" أي فهمته شيئاً بعد شيء.

2.1.2 الفهم اصطلاحاً: يُعرف الفهم في المصطلح الأصولي واللساني بأنه: "العلم بمعنى القول عند سماعه"،² ويظهر من هذا التعريف وجود تطابق كبير بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، حيث يتمحور كلاهما حول العلم والإدراك بالشيء.

2.2 الوظيفة

1.2.2 لغة: تطلق كلمة الوظيفة في اللغة على التقدير والالتزام والتتابع، وذكر ابن منظور أنها ما يقدر للإنسان في كل يوم من رزق أو طعام، ومنه "وظيفة العطاء"، كما تشير إلى التتابع في خط واحد، ومنه الوظيف، وهو تتابع مشي الإبل كأنها قطار.³

2.2.2 الوظيفة اصطلاحاً: انتقل المصطلح من الحقل البنيوي إلى الحقل اللساني التداولي حيث أصبحت تعني ارتباط بنية اللغة بوظيفة التواصل، ويعرفها أحمد المتوكل

1 - مجدد عدة، "المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية ووضع الشريعة للإمام الشاطبي"، مجلة فصل الخطاب، المجلد 14، العدد 02، جامعة تيارت (الجزائر)، 2025م، ص 65.

2 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية: وضع الشريعة للإفهام لدى الشاطبي، مجلة فصل الخطاب، المجلد 14، عدد 2/2025، ص 65.

3 - (محمد بن مكرم بن علي جمال الدين) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فهم)، ومادة (وظف)، دار صادر، ج4، بيروت، ط1، نقلاً عن مجدد عدة، المرجع السابق، ص 65.

بأنها: "الغرض الذي تسخر الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه وهو تعريف يحيل الى البعد التواصلي والاجتماعي الذي تؤديه اللغة".¹

ومن العلماء الذين أصلوا لهذا الفهم الإمام "الشافعي" - رحمه الله - الذي يعد المؤسس الأول لهذا العلم، من أجل تحقيق فهم سليم لمصادر الشرع، من خلال ضبط الفروع بقواعد كلية تحيل صاحبها على فهم الأدلة من حيث حجتها ودلالاتها ومراتبها، وقد كان للغة من حيث وظيفتها أثر كبير في ما دونه الأصوليون من خلال ضبطهم آليات التعامل مع الخطاب الشرعي، وتحديد مناهج الفهم، كما شهد التأليف الأصولي نقلة نوعية في القرن الثامن عشر هجري على يد الإمام أبي إسحاق الشاطبي (ت 790) - رحمه الله- من خلال مؤلفه الموافقات في أصول الشريعة، ومما نظره في موافقاته بما له صلة بالوظيفة الإفهامية، ما ذكره في قوله "قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام"²، وهو مقصد يحمل جملة من المسائل التي تتمحور حول ضرورة الوصل بين التشريع "والامتثال"، والإفهام عند الشاطبي يقف على ثلاث مرتكزات: المتكلم (الشرع)، والمتلقي (المكلف)، والرسالة (اللفظ). وهذه المقولة تخرج بمرتكزات هي:

3.2 الإفهام وعلاقته بالتكليف: يرى الشاطبي أن شرط التكليف هو العلم بالمكلف به، وهذا العلم لا يحصل إلا إذا كان الخطاب في حد ذاته قابلاً للفهم (مفهياً)، لذا فإن قصد

1- أحمد المتوكل، "التركيبات الوظيفية: قضايا ومقاربات"، نقلاً عن مجدد عدة، المرجع السابق، ص 66.

2 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 68.

الإفهام هو أمر إلهي لجعله مبيّناً، حيث يحصل للمكلف "العلم بالمكلف به" وهو شرط ضروري لصحة الامتثال.¹

✍ اعتبار الأمية معياراً للإفهام: حلل الشاطبي قصد الإفهام من خلال مراعاة حال المخاطبين الأولين (العرب)، فوصف الشريعة بأنها أمية، والمقصود بالأمية هنا هو الوضوح الذي يدركه جمهور العرب دون حاجة إلى تعمقات تخرج باللفظ عن معهوده، فكل ما خرج عن فهم العرب لا يدخل ضمن الشارع في الإفهام.²

✍ اللسان العربي والوظيفة التواصلية: يرى الشاطبي أن الإفهام لا يتحقق إلا بالانضباط الكلي لسان العرب وقواعدهم في الخطاب، فوضع الشريعة للإفهام يعني وضعها وفق سنن العرب في التعبير، وبناء عليه فإن تأويل أي نص يخرج عن تأويل العرب فهو باطل لمقصد الإفهام الذي أراده الشارع.³

وهذين الجزئين هما من مرتكزات ومسلمات الفهم عند الشاطبي، وتحقق الوظيفة الإفهامية بتضافر النص مع قرائنه الحالية والمقالية باعتبارهما "ملاك البيان" المحدد

1 - مجدد عدة ، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية :وضع الشريعة للإفهام لدى الشاطبي ،"مجلة فصل الخطاب مجلد 14، عدد2/جوان 2025، ص 67.

2 - المرجع نفسه، ص 73، وأنظر أيضاً الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ص 258.

3 - المرجع نفسه، ص 71.

لمراد الشارع،¹ ولا يعد هذا الإفهام ترفاً معرفياً، بل هو وسيلة وظيفية تهدف إلى إقامة الحجة ودفع المكلف لتحويل الفهم إلى امتثال.²

وفي قوله "الشارع قصد بوضع الشريعة الإفهام"،³ أي إن الخطاب الشرعي هو رسالة إلهية تقتضي الفهم من قبل المكلفين لكي يتحقق الامتثال.

4.2 الوظائف اللغوية وعلاقته بالإفهام:

ويرى أحمد المتوكل أن اللغة هي نظام تواصل بشري، وأن الوظيفة هي الأساس الذي تبنى عليه البنية اللغوية، وفي نظريته تتفرع الوظيفة إلى ثلاث مستويات متداخلة تخدم "قصد الإفهام" الذي نادى به الشاطبي.

✍ **الوظائف الدلالية:** تتعلق بالدور الذي تلعبه الوحدات داخل "الواقعة" التي تصفها الجملة (فاعل، مفعول، مستفيد)، وهي ترتبط بما سماه الشاطبي "فهم الكلمة" أو المعنى المباشر.⁴

1 - مجدد عدة ، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية : وضع الشريعة للإفهام لدى الشاطبي ، مجلد14، عدد2، 2025، ص76.
2- مجدد عدة، المرجع نفسه، ص 78.
3 - الشاطبي، الموافقات، ص 258.
4 - أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، نشر وتوزيع دار الثقافة ، الدار البيضاء.ص14-28

✍ **الوظائف الصرفية - التركيبية:** تحدد موقع العنصر في الجملة (مبتدأ، خبر، فاعل نحوي) ويرى المتوكل أن هذه الوظائف ليست غاية في حد ذاتها، بل هي أدوات لخدمة المعنى التواصل¹.

✍ **الوظائف التداولية:** وهي التي تحدد الحالة الإعلامية للعناصر داخل الخطاب، وتنبنى على المعارف المشتركة (وهو ما يقابل المعهود الذهني عند الشاطبي)، وتنقسم إلى:

- **المبتدأ:** وهو ما يبدأ به الكلام لتهيئة ذهن السامع (لفت الانتباه)؛
- **البؤرة:** وهي أهم معلومة في الجملة يريد الشارع إفهامها؛
- **الذيل:** وهو ما يأتي كإضافة أو توضيح².

ويعد الدكتور أحمد المتوكل رائد المنحى الوظيفي العربي، حيث تكفل بالتطبيق على قضايا اللغة العربية، ومسائلها الدلالية والصرفية والتركيبية، وقد جعل من أهداف مشروعه الوظيفي العربي وضع منهجية علمية لقراءة التراث واستثماره، وتحدد

1 - أحمد المتوكل، المقتضى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، دار الأمان للنشر والتوزيع الرباط، ط1. ص64
2 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، وضع الشريعة للإفهام عند الشاطبي، مجلة فصل الخطاب، المجلد 14 عدد - رقم العدد 02، جوان، ص 72.

ماهية الوظيفة عنده من خلال مستويين أساسيين يفرقان بين البنية الغرضية، والترابطية للغة.¹

✍️ **الوظيفة كـ "علاقة":** وهي التي تحكم الروابط الداخلية بين الوحدات اللسانية داخل النسق اللغوي نفسه؛

✍️ **الوظيفة كـ "دور":** وهو المفهوم المركزي الذي تقوم عليه النظرية التواصلية حيث يعرف المتوكل الوظيفة في هذا السياق بأنها: "الغرض الذي تسخر الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه".²

إن هذا التعريف ينقل اللغة من كونها مجرد "نظام من العلامات" إلى كونها "أداة تواصلية" غائية في العملية التفاعلية بين البشر.³

وبذلك تلتقي رؤية المتوكل مع التأصيل الأصولي عند الإمام الشاطبي في مبدأ "وضع الشريعة للإفهام"، إذ كلاً منهما يرى أن الكلام ليس مقصوداً لذاته، بل لما يحققه

1 - أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية: قضايا ومقاربات، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2005م، ص 23، نقلاً عن عدة محمد، المقولات الأصولية في الوظيفة اللفظية، مجلة فصل الخطاب، مجلد 14، العدد 02، جوان 2021م، ص 66.

2 - أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية، ص 66.

3 - محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1980م، ص 09، نقلاً عن عدة محمد، المرجع السابق، ص 66.

من "قصد إفهامي" وأثر إنجازي في المتلقي،¹ ليؤكد على ارتباط بنية اللغة بوظائف التواصل والتبليغ والتبيان.²

2 - 5 تعريف الوظيفة الإفهامية عند الغرب: الوظيفة الإفهامية مصطلح تبلور في اللسانيات الحديثة مع حلقة براغ الوظيفية ومع أوائل مؤسسيها فيلام ماثيزيوس (Vilem Mathesius 1882-1945)، ونيكولاي تروبوسكوي (Nicolai Truboskou 1890-1938) وأندريه مارتينييه (André Martinet 1908) ورومان جاكبسون، الذي يعبر عنها بالوظيفة الانتباهية باعتبار ما تحمله الرسالة من ملفوظات تلفت انتباه السامع، وتحقق من واقع دورة التخاطب، قال: "... وتوظف لإثارة انتباه المخاطب، أو التأكد من انتباهه... قل أسمعني، أو بالأسلوب التكبري: أسمعني..."، وقد ساهم جاكبسون في وضع أبرز النظريات الأدبية الحديثة وأسس نظرية وظائف اللغة التي استقطبت الباحثين واللسانيين، فاعتنوا باللغة بشقها الوظيفي، من حيث استعمالها وما يتعلق بها من عناصر لغوية وغير لغوية،³ فالاهتمام بالوظيفة الإفهامية في الدراسات الغربية لم يكن معزولاً، بل جاء نتيجة الاهتمام باللغة في شقها الوظيفي، ويمكن تلخيص رؤيتهم في النقاط التالية:

¹ مجدد عدة، المقولات الاصولية في الوظيفة الإفهامية، ص 66-67.

² - المرجع نفسه، ص 66.

³ - مجدد عدة، المقولات الاصولية، المرجع نفسه، ص 66-67.

✍ **الارتباط بالاستعمال:** ركز اللسانيون على اللغة، وكيفية استخدامها فعلياً لتحقيق غرض التواصل، معتبرين أن الوظيفة الإفهامية هي المحور الذي يربط بين عناصر اللغة ومحيطها الخارجي.

✍ **الارتباط بالعناصر اللغوية:** يرى اللسانيون الغربيون في كيفية تفاعل العناصر المكونة للعملية اللسانية (المرسل، الرسالة، المرجع، القناة) لإنتاج الإفهام، فالوظيفة الإفهامية عندهم هي التي تتضمن مطابقة مضمون الرسالة للمرجع (السياق) الذي نتحدث عنه¹.

✍ **العناصر اللغوية والسياقية:** لقد بحثوا في كيفية ارتباط الوظيفة الإفهامية بالعناصر المكونة للعملية التواصلية (المرسل؛ الرسالة؛ المرجع والقناة) حيث تُعنى هذه الوظيفة بضمان مطابقة الكلام للمرجع أو السياق الخارجي.

✍ **تطور المفهوم:** انتقل الاهتمام من بنية اللغة إلى **فعالية اللغة** وقدرتها على نقل المقاصد والمعاني، وهو ما يعرف بالتحول نحوي "التداولية" التي تدرس اللغة أثناء الممارسة الفعلية².

¹ - مجدد عدة ، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية : وضع الشريعة للإفهام لدى الشاطبي، ص 66-67.

² - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 66-67.

كما تعتمد اللسانيات الوظيفية التواصلية الحديثة، ولا سيما عند رومان جاكبسون، على تقسيم سداسي لوظائف اللغة يربط كل وظيفة بركن من أركان العملية التواصلية (المرسل، الرسالة، المرسل إليه، السياق، القناة، والسنن).

6.2 وظائف اللغة الست في النموذج التواصلية:

✍ **الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية:** تتركز هذه الوظيفة على المرسل، وتهدف إلى التعبير المباشر عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه، وهي تمنح انطباعاً عن انفعال معين، سواء كان حقيقياً أو مصطنعاً، وتبرز حضور الذات المتكلمة في الخطاب، وهو صاحب الوظيفة التعبيرية في العملية التواصلية.¹

✍ **الوظيفة الإفهامية أو المرجعية:** تعتبر من أهم وظائف اللغة، وتتعلق بالسياق أو محتوى الرسالة، وتتمثل مهمتها في نقل المعلومات والأفكار وتبادلها بين أفراد المجتمع، وهي الركيزة التي بنى عليها الإمام الشاطبي نظريته في الشريعة للإفهام.²

✍ **الوظيفة الإيعازية أو التأثيرية:** تتوجه هذه الوظيفة نحو المرسل إليه، حيث يهدف المرسل من خلالها إلى ردة فعل محددة على مواقف وسلوكات المتلقي،³ وتتجلى

1 - رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988م، ص 28، نقلاً عن مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 79.

2 - مجدد عدة، المقولات الأصولية، المرجع نفسه، ص 69.

3 - المرجع نفسه، ص 73.

بوضوح في أساليب الطلب والأمر والنهي التي تقتضي ردة فعل أو امتثالاً من المخاطب.

✍ **الوظيفة الانتباهية أو التواصلية:** ترتبط بالقناة أو وسيلة الاتصال وتتمثل في الملفوظات التي تستخدم لفتح قناة التواصل أو إغلاقها أو التأكد من استمرارها،¹ ومن أمثلتها عبارات مثل: "أُسمعني" أو أساليب النداء التي تهدف لشد انتباه المتلقي قبل إلقاء الرسالة.

✍ **الوظيفة الشعرية أو الجمالية:** تتركز هذه الوظيفة على الرسالة في ذاتها من حيث بنيتها اللغوية وخصائصها الفنية والجمالية،² وهي التي تبرز القيمة الإبداعية للنص وتجعله حدثاً كلامياً مؤثراً يتجاوز مجرد الإخبار.

✍ **الوظيفة الميتا لغوية أو الواصفة:** تتعلق بالسنن أو الرمز اللغوي، حيث تستخدم اللغة لشرح اللغة نفسها، أو لتوضيح معاني المصطلحات المستخدمة وتظهر حينما يشرح المتكلم دلالة لفظ معين لضمان وحدة الفهم مع المتلقي ومنع اللبس.

1 - المرجع نفسه، ص 66.

2 - رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 1 - 1988م ص 28، نقلاً عن مجد عدة، المرجع السابق ص 76.

نظرية النحو الوظيفي عند سيمون ديك: تعتبر مساهمة العالم الهولندي سيمون ديك حجر الزاوية في اللسانيات الوظيفية المعاصرة، حيث أرسى في عام 1978م القواعد الأولى لنظرية "النحو الوظيفي" كبديل للمدارس البنائية والصورية.¹

ينطلق سيمون ديك من رؤية لسانية ترى أن اللغة ليست مجرد نظام من القواعد الصورية، بل هي: "أداة للتواصل الاجتماعي"، ومن ثم فإن تحليل اللغة يجب أن ينصب على الوظائف التي تؤديها البنى اللغوية في سياق التخاطب البشري،² وتتحدد ماهية الوظيفة عنده وعند تلاميذه (كأحمد المتوكل) من خلال مستويين: الوظيفة بوصفها علاقة ودور.³

فمنظوره للوظيفة بوصفها علاقة التي يقصد بها الروابط القائمة بين مكونات الوحدة اللسانية داخل الجملة، أما ما يخص منظوره للوظيفة بوصفها دوراً فهو المفهوم الجوهري في النظرية، كما يعرفها أحمد المتوكل: "فالتعريف نقل دراسة البنية لذاتها إلى دراسة البنية من أجل وظيفة التبليغ".⁴

1 - جامعة محمد خيضر - بسكرة: المحاضرة 03، الإطار التاريخي لنظرية النحو الوظيفي، منصة التعليم عن بعد، ص 01.

2 - مرباح شفاعة، "النظرية النحوية في الوظيفة الإفهامية من سيمون ديك إلى أحمد المتوكل"، مجلة مركز الحكمة للدراسات والأبحاث، ص 07.

3 - مجدد عدة، "المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، ص 66.

4 - أحمد المتوكل، الوظيفة "قضايا ومقاربات"، دار الأمان، الرباط، 2005م، ص 23، نقلاً عن جامعة بسكرة، ص 02- نظرية النحو الوظيفي - منصة التعليم عن بعد، ص 4-6.

كما قسم سيمون ديك الوظائف داخل الجملة إلى ثلاث فئات تكاملية تضمن نجاح العملية التواصلية:

● **الوظائف الدالية:** مثل (المنفذ؛ المستقبل؛ الأداة) وهي التي تحدد أدوار العناصر في الواقعة الموصوفة.

● **الوظائف التركيبية:** مثل (الفاعل؛ المفعول)، وهي التي تحدد وجهة نظر المتكلم في عرض تلك الواقعة.

● **الوظائف التداولية:** مثل (المبتدأ؛ البؤرة والوظيفة الإفهامية) وهي التي تحدد الوضع المعرفي للخطاب ومقتضيات سياق الحال.

وبالتالي نستنتج أن سيمون قد نقل اللسانيات من "نحو الجملة" إلى "نحو التواصل"، وهو ما استثمره الباحثون لاحقاً في تحليل الخطاب الشرعي والمعهود اللساني.¹

خلاصة:

نقول إن الفكر اللساني الغربي عالج الوظيفة الإفهامية من منظور وظيفي بحت، فهو يركز على استنباط اللغة في سياق استعمالها الحي، فلم تعد اللغة مجرد بنية مغلقة، بل أصبحت أداة تواصلية تكتسب قيمتها من خلال قدرتها على إقامة علاقة بين الرسالة

¹ - جامعة بسكرة، نظرية النحو الوظيفي، منصة التعليم عن بعد، ص 4-5-6.

والمرجع، وقد ساهم هذا التوجه في إبراز العناصر اللغوية المحيطة بالخطاب، مما نقل الدراسات اللسانية من الوصف البنيوي إلى التحليل الوظيفي الذي يبحث في كيفية الإفهام وتبادل المعاني بين المتخاطبين.

3. مفهوم الأميين:

1.3 لغة: الأمي في "لسان العرب" هو منسوب إلى "الأم"، ويُراد به البقاء على ما ولد عليه من عدم الكتابة،¹ وقيل هو منسوب إلى الأمة، أي الذي لا يزال على أصل خلقة الأمة لم يتعلم الكتابة، فهي في اللغة تدور حول معنى الأصالة والبقاء على الفطرة الأولى قبل اكتساب مهارة الخط.²

2.3 اصطلاحاً: يعرفها الإمام الشاطبي (ت 790هـ) بأن الأمية في الاصطلاح الأصولي هي: "جريان المكلف في فهم وتطبيقها على المعهود الأمي للعرب"،³ فالشاطبي يرى أن الشريعة "أمية" لأنها نزلت بلسان أمة أمية الشريعة، فلا يجوز تفسيرها بما يخرج عن علوم العرب ومعهودهم في الخطاب.⁴

1 - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج12، مادة ("أمم)، ص 22.
2 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ج1، (د.ط)، ص 85.
3 - الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ص 258.
4 - المصدر نفسه، ص 258، [المسألة الثانية في كون الشريعة أمية].

وتستند التعريفات الاصطلاحية للأمية في الشريعة إلى ما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا".¹ يقرر الحديث وصف "الأمية" للأمة في سياق الامتتان برفع الحرج والتيسير، حيث ربطت العبادات (كالصوم) بمعهود العرب من الرؤية البصرية، لا بالحسابات الفلكية الدقيقة التي لم تكن من شأنهم.²

ونلاحظ أيضاً عند الشاطبي أن "الأميين هم: جمهور المخاطبين بالشريعة الذين نزل القرآن بلسانهم، وجروا على معهودهم في الفهم، وهم الذين بقوا على أصل خلقتهم من جهة الفهم الإدراكي المرتبط باللغة السليقة بعيداً عن التكلف والنظر العقلي المعقد".³

ويعرف الأميين كذلك بأنهم "المرسل إليهم" الذين صيغ الخطاب الشرعي ليتناسب مع قدراتهم الإدراكية، فالأمي هنا هو المخاطب الذي يفهم النص ببناءً على الوظيفة التواصلية الظاهرة للغة، حيث وضعت الشريعة لتكون مفهومة للجميع (العالم

¹ - ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي: "لا نكتب ولا نحسب"، حديث (11814)، ومسلم، صحيح مسلم، حديث رقم (1080).
² ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ج4، ص 127.
³ ينظر: عبد الكريم عثمان علي، قاعدة معهود الأميين عند الشاطبي وعلاقتها بفهم القرآن دراسة - مجلة أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، ص 599.

والعامي)، دون حاجة لمقدمات عن المعهود العربي،¹ ويذهب التعريف أيضاً إلى أن "الأميين" عاصروا التنزيل وتكمن أميتهم في عدم اعتمادهم على علوم الأوائل (كالفلسفة، المنطق، الفلك... إلخ)، وبناءً عليه فإن الأمي هو من:

. يستعمل اللغة وفق السليقة والتيار لا وفق القواعد المولدة.

. يعتمد على إدراكه للمعاني الظاهرة والقرائن الحالية المشاهدة في بيئته.²

والأميون في نظر الشاطبي ليسوا جهلة، بل هم "أهل الفطرة اللغوية"، الذين جعل فهمهم هو المقياس لصحة الاستنباط، فكل فهم يخرج عما يمكن أن يفهمه العربي الأمي [بالمعنى البسيط غير المتكلف] في لغة العرب، فهو فهم عن مقصود الشارع.³

¹ ينظر: عبد الكريم عثمان علي، قاعدة معهود الأميين عند الشاطبي وعلاقتها بفهم القرآن -مجلة أصول الدين، ص 606-607.

² محمد سالم أبو عاصي، علوم القرآن، دار البصائر، ط1، القاهرة، ص 58

³ ينظر: الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ص 258.

الفصل الأول : المعهود اللساني والوظيفة الإفهامية (الأطر النظرية والتأصيلية)

المحور الأول: جذور المعهود اللساني ومسارات تشكله
المنهجية بين السليقة الجاهلية والتعديد الإسلامي.

1. جذور المعهود اللساني

2. أنواع المعهود اللساني

3. علاقة المعهود بسياق اللغة وثقافة المخاطبين

المحور الثاني: الوظيفة الإفهامية في الدرس اللساني الوظيفة

الإفهامية في الدرس اللساني

1. عناصر الوظيفة الإفهامية

2. مستويات الإفهام من فهم اللفظ إلى استيعاب المقصد والامتثال

3. نظرية الأفعال الكلامية وعلاقتها بالامتثال التشريعي.

توطئة:

يعتبر المعهود اللساني، من أهم
الخطاب القرآني، لارتباطه بما تعارف عليه العرب

التخاطب، وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، مراعي

ومقتضيات الاستعمال، مما جعل المعهد اللساني مدخلا مهما للكشف عن الوظيفة الإفهامية في النص القرآني، ومن هذا المنطلق يسعى هذا الفصل في ضبط المفاهيم النظرية، مع الوقوف عند أهم الأسس التداولية لتحليل الخطاب وأبعاده التواصلية.

المحور الأول: جذور المعهد اللساني ومسارات تشكله المنهجية بين السليقة الجاهلية والتقعيد الإسلامي.

1. **جذور المعهد اللساني:** تضب جذور المعهد اللساني في أعماق الممارسة التداولية والبيانية للعرب، حيث مر هذا المصطلح بتحويلات جوهرية انتقلت به من كونه "سليقة" لغوية فطرية قبل الإسلام، إلى "نظرية أصولية" ومنهجية منضبطة تهدف إلى تحقيق الوظيفة الإفهامية للخطاب،¹ ويمكن تتبع هذه الجذور وفق المستويات التالية:

أولاً: **الجذور اللغوية والاجتماعية قبل الإسلام (مرحلة السليقة):** لم يكن المعهد اللساني في الجاهلية مصطلحاً مدوناً، بل كان يمثل **القدر المشترك** من المعارف والأساليب التي تقتسمها الجماعة العربية للتعبير عن مقاصدها،² وتتمثل هذه الركائز للمرحلة قبل الإسلام في:

1 - مجدد عدة، "المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، ص 66.

2 - زلافي حميد، "أهمية معهد العرب في تلقي خطاب الوحي"، مجلة الذاكرة، 2023، ص 906.

✍ **عادات التعبير:** وهي الأنماط الخطابية التي استقر عليها لسان العرب، سواء في بنية الألفاظ أو وجوه المخاطبات وأساليب الفهم التي كانت سائدة وقت نزول الوحي.¹

✍ **معهود الأمية:** ويقصد به "الفطرة اللغوية" للعرب الذين لم يزاولوا العلوم الفلسفية المعقدة، فكان لسانهم مبنياً على ما تعارفوا عليه في تداولهم اليومي، وهو ما جعل الخطاب الشرعي ينزل موافقاً لمداركهم الحسية لضمان وصول الرسالة.²

ثانياً: الجذور المنهجية بعد الإسلام (مرحلة التقعيد الأصولي):

مع نزول القرآن الكريم "بلسان عربي مبين"، اكتسب المعهود صبغة تشريعية، إذ أصبح المعيار الذي يمنع خروج اللفظ عن مقصده الأصلي، ويصون النص من التأويلات البعيدة التي لا تتسق مع سنن اللسان العربي،³ وقد استقر المعهود كقاعدة تقتضي أن "العبرة بالاصطلاح اللغوي الجاري عهد التنزيل"، أي أن المعتبر هو ما كانت العرب تعقله زمن الوحي لا ما استجد من مصطلحات حادثة.⁴

1 - باي بن زيد، "عادات العرب في الجاهلية وأثرها في فهم القرآن الكريم"، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 05، ص 86.

2 - مجدد عدة، المرجع نفسه، ص 71.

3 - قلالش عمر، "معهود العرب اللساني عند الشاطبي: قراءة تجديدية في مناهج تأويل الخطاب الشرعي، جامعة وهران، الجزائر، ص 02.

4 - أحمد شيخ عبد السلام، "معهود العرب في تلقي الخطاب الديني"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، 2002م، ص 02.

✍ رواد المعهود اللساني في الفكر العربي: ساهمت سلسلة من كبار العلماء في إنضاج هذا المفهوم وتقعيده وأبرزهم:

➤ الإمام الشافعي (ت 204 هـ): يعتبر الرائد الأول الذي أبرز أهمية المعهود في كتابه "الرسالة"، مؤكداً أن الله خاطب الناس بما تعرف من معانيها في لسانها.¹

➤ الإمام الطبري (ت 310 هـ): الذي شدد في تفسيره على وجوب موافقة معاني كتاب الله لمعهود العرب في الفهم والاستنباط.²

➤ الإمام الشاطبي (ت 790 هـ): وهو المؤسس الحقيقي والمنظر الأكبر حيث بلور مصطلح "معهود الأميين" وجعله ركيزة في "مقاصد الشارح للإفهام" معتبراً إياه معياراً قطعياً للتفسير.³

➤ الطاهر بن عاشور (حديثاً): الذي طور فكرة اعتبار "الأعراف والقرائن المعاصرة" في تلقي الخطاب، مع جعل المعهود ركيزة أساسية في مشروعه التفسيري والأصول.⁴

1- الشافعي، محمد بن إدريس "الرسالة"، تحقيق: أحمد شاكر، نقلاً عن: أحمد شيخ عبد السلام، المرجع السابق، ص 42-52.

2- الطبري، محمد بن جرير، "تفسير الطبري"، نقلاً عن: عمر قلالش، المرجع السابق، ص 28.

3- الشاطبي، "الموافقات"، ص 258.

4- الطاهر بن عاشور "التحرير والتنوير"، تونس، دار تونسية، ج 01 ص 46.

و يقابل مصطلح المعهد في اللسانيات الغربية مفاهيم "السنن المشتركة" والمواضعة الاجتماعية، والسياق التداولي، حيث تنظر المدارس الوظيفية الغربية إلى اللغة بوصفها "أداة التواصل الاجتماعي" محكومة بقواعد متعارف عليها بين المتخاطبين،¹ وينطلق الفكر اللساني الغربي، وتحديدًا في "المدرسة الوظيفية" من فكرة أن بنية اللغة مرتبطة بوظيفة التواصل والتبليغ، مما يفرض وجود "قدر مشترك" من المعارف والقواعد بين المرسل والمتلقي يضمن نجاح العملية الإفهامية وهو ما يسمى في تراثنا بـ "المعهد"، بينما يتجلى المعهد في اللسانيات الحديثة من خلال عنصر السنن، وهو النظام الرمزي الذي يتوضع عليه أفراد المجتمع اللغوي لفك رموز الرسالة.²

ومن المفاهيم المركزية في اللسانيات الوظيفية التواصلية الحديثة التي لها ارتباط وثيق بمفهوم "المعهد"، أنها ترتكز على: السنن المشتركة والوظيفة المرجعية الإفهامية، ولهذا الفكر اللساني الغربي رواد تبنوا الفكر الوظيفي منهم:

¹ - مرياح شفاعة، النظرية النحوية الوظيفية من سيمون ديك إلى أحمد المتوكل، مجلة مركز الحكمة، 2025م، ص 08.

² - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، ص 66-67.

✂ نيكولاي تروبتسكوي: الذي يعتبر الممهد الأول للوظيفية في حلقة براغ بأعضائها، الذين ركزوا على أن اللغة نظام من الوسائل التعبيرية الهادفة للتواصل.¹

✂ جاكبسون: هو صاحب النظرية التواصلية وأهم من وضع تقسيمات وظائف اللغة الست، وتعد الوظيفة الإفهامية/ المرجعية، عنده هي الموازي اللساني لما نادى به الشاطبي في معهد العرب، حيث ترتبط الرسالة بمحتواها المعرفي وسياقها المشترك.²

✂ أندريه مارتينييه: رائد الوظيفية الفرنسية، الذي أكد على أن اللغة تخضع لمبدأ "الاقتصاد اللغوي" وحاجة المجتمع للتواصل.³

✂ سيمون ديك: مؤسس النحو الوظيفي عام 1978م، والذي عرف الوظيفية بأنها الغرض الذي يسخره البشر لتحقيق التواصل، مشدداً على ضرورة مراعاة "الوضع المعرفي" للمخاطب.⁴

خلاصة: لقد خلص الباحثون إلى أن ما يسمى عند العرب بـ "معهد العرب اللساني" يماثل في مرتكزاته "النظرية اللسانية التواصلية" عند الغربيين، إذ إن

1 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية: وضع الشريعة للإفهام لدى الشاطبي، ص 66.

2 - المرجع نفسه، ص 67.

3 - المرجع نفسه، ص 66.

4 - ينظر: أحمد المتوكل "التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات"، منشورات عكاظ، الرباط، 1990م، ص 10.

مدار الفهم في كليهما مبني على القصد التواصلية المشترك والوظيفية الغائية¹، وهذا يربط مفهوم المعهود بجذوره اللسانية العربية الحديثة.

2. أنواع المعهود اللساني:

إن معهود العرب اللساني ليس مجرد مواضع لغوية بسيطة، بل هو منظومة بيانية متكاملة تستغرق عادات العرب وسننها التعبيرية عن مقاصدها - ومنازعتها في أساليب التخاطب وأعرافها في تلقي الخطاب²، وبناءً على هذا الشمول الدلالي، لم يقف الأصوليون عند حدود اللفظ المفرد، بل نظروا إلى المعهود كمعيار مرجعي توزن به طرائق الاستنباط عبر مستويات لسانية ومعرفية متعددة³، إن الحاجة إلى تصنيف أنواع المعهود تنبع من طبيعة اللغة نفسها، فهي "كائن حي" يخضع للتطور والتبدل الزماني والمكاني، مما يوجب تحديد مستويات هذا المعهود (ألفاظاً ومعاني وأساليب) لضمان عدم الخروج عن مقتضى لسان العرب ساعة النزول⁴، ومن هنا تتفرع أنواع المعهود اللساني في ضبط عملية فهم النص الشرعي كما يلي:

أولاً: المعهود من حيث مستويات اللغة (الأصناف الثلاثة): أكد الإمام الشاطبي أن الشريعة جاءت جارية على معهود العرب في لسانها عبر ثلاث مستويات⁵:

1 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 77.

2 - قلالش عمر، معهود العرب اللساني عند الشاطبي قراءة تجديدية، ص 2.

3 - قلالش عمر، المرجع نفسه، ص 2.

4 - المرجع نفسه، ص 07.

5 - الشاطبي: "الموافقات"، ص 255، 266.

✍ **معهود الألفاظ:** هو استعمال المفردات وفق معانيها المتداولة عند العرب وقت التنزيل.

● **مثال:** لفظ "الحم"، فالمعهود العربي يقتضي دخول "الشحم" فيه تبعاً، ولا يصح تفسير التحريم بغير عهده العرب في تسمياتها، فتحريم لحم الخنزير يشمل شحمه، لأن الشارع خاطبهم بما يعهدونه في لغتهم، وخالف في ذلك من جمد على ظاهر اللفظ دون معهود الاستعمال.¹

✍ **معهود المعاني:** أن تكون المعاني المستنبطة مما تعقله العرب من كلامها بعيداً عن التدقيقات الفلسفية.

● **مثال:** العرب تعقل من لفظ "الأم" أصل الشيء، ولذلك سميت مكة "أم القرى" لأنها أصلها، وسميت سورة الفاتحة "أم الكتاب" لأنها أصله.²

✍ **معهود الأساليب:** ويقصد به طرق العرب في النظم والمخاطبة كالإيجاز، والإطناب والحقيقة والمجاز.

● **مثال:** قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾³، فهذا جارٍ على معهود العرب في التمثيل والتحليل لتعظيم المصيبة، حيث يقولون عند موت السيد "بكت له الرياح والبرق".⁴

¹ - الشاطبي : الموافقات ، نقلا عن زلافي حميد : أهمية معهود العرب في تلقي خطاب الوحي، ص 910.

² - باي بن زايد، عادات العرب في الجاهلية وأثرها في فهم القرآن-القرآن الكريم، مجلة الدراسات الإسلامية، ص06-07.

³سورة الدخان

⁴ - باي بن يزيد، عادات العرب في الجاهلية، ص 06.

ثانياً: المعهود من حيث طبيعة الدلالة (المعنى الأصلي والتبعي) يفرق الشاطبي بين نوعين من المعاني المشتركة التي يفهما كل لسان [مثل الإخبار المطلق]، وهي التي يمكن ترجمتها إلى لغات أخرى.¹

✎ المعاني الأصلية: وهي المعاني المشتركة التي يفهما كل لسان [مثل الإخبار المطلق] وهي التي يمكن ترجمتها إلى لغات أخرى.²

✎ المعاني التبعية: هي الخصائص والوجوه التي ينفرد بها اللسان العربي [كالتقديم والتأخير والبلاغة]، وهذا هو المعهود الحقيقي الذي لا يفهم النص إلا به، ولا يمكن ترجمته حرفياً.³

ثالثاً: المعهود من حيث السياق المعرفي [معهود الأميين] أصل الشاطبي لهذا النوع ليعين المعهود العربي بزمان ومكان الوحي.⁴

✎ معهود الأميين: يقصد به أن القرآن نزل مراعيًا لحال العرب في الأمية، أي أنهم أمة لا تقرأ ولا تحسب، فجاء الخطاب موافقاً لمدركاتهم المعرفية وعلومهم الفطرية، مثلاً: خاطبهم القرآن في المواقيت بـ"رؤية الهلال"

1 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 69.

2 - المرجع نفسه، ص 68-69.

3 - المرجع نفسه، ص 69.

4 - عبد الكريم عثمان علي: "قاعدة معهود الأميين عند الإمام الشاطبي: دراسة تحليلية نقدية"، مجلة كلية أصول الدين ص 607.

(معهودهم) ولم يطالبهم بحسابات النجوم الدقيقة التي لم تكن من معهودهم العلمي.¹

رابعاً: المعهود من حيث طبيعة العادة [القولية والفعلية]: تشير الدراسات إلى أن فهم القرآن يتوقف على معرفة عادات العرب في زمنين.²

✍ المعهود القولي [سنن التخاطب]: وتشمل الأساليب التي تجري على ألسنتهم ولا يراد بها حقيقتها، مثلاً: عبارات مثل: "تكلتك أمك" أو "تربت يدك"، فهي في المعهود للاستحثاث أو التعجب، ولا يراد بها حقيقة الدعاء بالموت أو الفقر.³

✍ المعهود الفعلي (العادات الاجتماعية): ويشمل عاداتهم في التشريع والتعامل.

المثال: عادة الوفاء بالعقود والمواثيق، حيث مزل قوله تعالى "...أوفوا بالعقود..."، ليخاطب العرب في أعظم مفاخرهم الأخلاقية المعهودة مما جعل التكليف موافقا لما يعقلون

خامساً: المعهود الإسلامي (الشرعي): وهو المعهود الذي استحدثه الوحي بنقله لبعض الألفاظ من دلالتها اللغوية الأصلية إلى دلالات شرعية جديدة، مثل

¹ - عبد الكريم عثمان علي، قاعدة معهود الأميين عند الشاطبي: دراسة تحليلية نقدية، مجلة أصول الدين ص 608.

² - ينظر: ابن تيمية "أحمد بن عبد الحليم"، مجموع الفتاوى"، دار الفتاوى والنشر، المنصورة ج7، ص286

³ - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم "مجموع الفتاوى" مجمع الملك فهد، المنصورة، ج23، ص204-115.

(الصلاة، الزكاة... الخ)، حيث أصبحت هذه الألفاظ "معهودا ذهنيا" جديدا يتبادر إلى ذهن المسلم فور سماعها¹

3. **علاقة المعهود بسياق اللغة وثقافة المخاطبين:** يعد الربط بين المعهود اللساني وسياق اللغة وثقافة المخاطبين جوهر الوظيفة الإفهامية في الخطاب الشرعي، إذ إن اللغة في المنظور الأصولي واللساني الوظيفي ليست مجرد رموز صماء، بل هي "خازن لثقافة" وما تنطوي عليه من عادات وأعراف وتطلعات، وتتجلى هذه العلاقة في كون اللسان العربي، الذي نزل به الوحي هو "كائن حي"، يتأثر بالبيئة الثقافية والمحيط الاجتماعي، فلا يمكن فصل اللفظ عن فضائه التداولي الذي ولدت فيه لضمان نجاح العملية التواصلية، لا بد من مراعاة ثلاثة أبعاد متداخلة: اللسان العربي المعهود والسياق المحيط بالنص والخصائص الإدراكية للمخاطبين

1.3 **تعريف السياق:** بالرغم من ورود لفظ السياق في التراث العربي بهذه الصيغة وبصيغ أخرى-سواء عند اللغويين، أو البلاغيين، أو المفسرين، أو الأصوليين- إلا أنه يستعمل استعمالات [سياقية] مختلفة وقابلة لتعدد الفهم.

ويمكن أولاً، إطلاق حكم مفاده أنه مع اعتماد العلماء على السياق والإفادة منه في فهم النصوص أو بنائها، إلا أنه لم يعتد به مصطلحاً قائماً في العلوم المشار إليها، بدليل أنه لم يوضع له تعريف معين ، ولم يجر له في الكتب الاصطلاحية ذكر.

1 أحمد شيخ عبد السلام ، معهود العرب في تلقي الخطاب الديني: مجلة الشريعة الإسلامية جامعة الكويت ، مجلد 17، عدد8، ص9

ومن خلال البحوث والدراسات التي قام بها العلماء في البحث عن مفهوم السياق، فقد خلصوا إلى أن تعريف السياق يمكن جمعه في ثلاث نقاط:

✍ **الأولى:** أن السياق هو الغرض: أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام، وهو واحد من المفاهيم التي يعبر بلفظ السياق (السوق) عنها، وكان استعمالها،¹ بهذا لفظاً متضمناً عند الأصوليين.

✍ **الثانية:** أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل وقيل بشأنها.

✍ **الثالثة:** أن السياق هو ما يعرف الآن بـ **"السياق اللغوي"** الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل، أو يجعل منها وجهاً استدلالياً.²

وقد استعمل لفظ السياق الكثير من العلماء، على رأسهم **الشافعي** الذي استخدم لفظ السياق اللغوي، حيث عقد باباً في "الرسالة" سماه: «باب الصنف يبين سياقه معناه»،³ كما دخل لفظ السياق (السوق) عند الأحناف في حد أقسام اللفظ من حيث الوضوح. واستعمل الشاطبي لفظ (المساق)، ويعني به السياق بنوعيه، لسياق النص، ولسياق الموقف، وكانت أوضح الإشارات إلى السياق اثنتان، إحداهما إشارة **الزركشي** عندما أفرد عنواناً أسماه "دلالة السياق"، بدأه بالقول: «أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئاً أنكره، وقال بعضهم إنها متفق عليها

1 - ردة الله بن ضيف، "دلالة السياق"، المجلد 01 / جامعة أم القرى، السعودية، ص 46.

2 - ردة الله بن ضيف الله، "دلالة السياق"، المجلد 01، جامعة أم القرى، السعودية، ص 46-47.

3 - ردة الله بن ضيف الله، دلالة السياق، ص 39-44.

في مجاري كلام الله تعالى، والأخرى إشارة **السجلماسي** الذي عرف السياق بقوله: "هو ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول".¹

2.3 أنواع السياق:

أ. **السياق اللغوي**: أدرك اللغويون أن لهذا النوع أثراً في تغيير دلالة الكلمة نتيجة لتغيير في التركيب الذي وقعت فيه، كالتقديم والتأخير والتي تسمى الرتبة، فهو سياق لساني الذي يتخذ من اللغة مادة له،² ويشمل على العناصر الآتية:

- ✧ الوحدات الصوتية والصرفية والكلمات التي يتحقق بها التركيب والسبك؛
- ✧ طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب؛
- ✧ طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل أو ما يطلق عليه التطريز الصوتي وظواهر هذا الأداء المصاحب المتمثلة في النبر والتنغيم والفاصلة الصوتية.
- ✧ فالسياق اللغوي هو المعنى الذي ورد لهذه الكلمة في المعجم أي معنى الكلمة في الجملة والعبارة، وكيفية تتابعها في الصياغة والتراكيب.³

ب. **السياق الخارجي (غير اللغوي)**: هذا النوع من السياق يمثله الإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي ويتمثل في الظروف والخلفيات المحيطة بالنص سواء منها ما يتصل بالمخاطب أو

¹ - المرجع نفسه، ص 44.

² - د. سميرة عامر سليم حمدان، "السياق والأساليب الإنشائية الطليبية"، جامعة الوادي، ص 409.

³ - المرجع نفسه، ص 409

المخاطب وكذلك البيئة الزمانية والمكانية النابع منها النص، وكذلك يشمل الأسس الفكرية والحياتية القائمة وراءه،¹ وحسب "تمام حسان" أن الجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي) وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلا "معنى المقال" أو المعنى الحرفي وهو معنى فارغ تماماً من محتواه الاجتماعي والتاريخي.²

من خلال هذه الأنواع للسياق نلمس أن هناك علاقة بين المعهود والسياق والتي تعتبر علاقة متكاملة تتمثل في علاقة شمول وخصوص حيث يتضمن اللسان المعهود، ويعطيه طابعه التواصل.

ويرى الشاطبي أن فهم الشريعة لا يصح إلا إذا جري على "معهود الأميين" وفهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم،³ وتتجلى علاقة هذا المعهود بالسياق في مستويين:

سياق المقال (اللغوي): وهو الإطار الداخلي للنص، الذي يشمل السابق واللاحق، حيث يعمل المعهود كمعيار يمنع "الاعتساف الدلالي"، فالسياق اللغوي قد يحتمل وجوهاً عدة، لكن المعهود يرجح المعنى المشترك ويبطل الاحتمالات البعيدة التي لم تألفها العرب.⁴

1 - المهدي إبراهيم الغويل، "السياق وأثره في المعنى"، أكاديمية الفكر الجماهيري، دار الكتب الوطنية بنغازي/ ليبيا - ط 01، ص 15

2 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 337-338.

3 - الشاطبي، "الموافقات في أصول الشريعة"، ص 258.

4 - مجدد عدة، "المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية"، ص 71.

✍ **سياق الحال (المقامي):** وهو الإطار الخارجي (الزمان؛ المكان؛ شخصية المتكلم وأسباب النزول)، إذ يرى الباحثون أن المعهود لا يعمل بفاعلية إلا إذا وضع في "سياق الموقف" الذي نبع منه النص.¹

3-3 آليات التفاعل بين المعهود والسياق: يتحكم السياق في تفعيل المعهود اللساني من خلال آليات منهجية حاسمة منها:

✍ **آلية عدم تجزئة الخطاب:** يفرض المعهود العربي التعامل مع السياق ككتلة واحدة، إذ إن "الكلام يبنى أوله على آخره، وآخره على أوله"،² وهذه الآلية تحمي المعهود من التقطيع والاجتزاء الذي يؤدي إلى إهدار المقاصد الشرعية.³

✍ **الضبط المرجعي للاصطلاح:** بما أن اللغة كائن حي، فإن السياق يفرض العودة إلى "المعهود زمن التنزيل" فلا يجوز تحميل نصوص الوحي اصطلاحات حادثة أو معانٍ استجدت بعد عصر الخطاب.⁴

✍ **تفعيل الدلالات التبعية:** ميّز الشاطبي بين الدلالة الباطنية الأصلية (المعنى المطلق) والدلالة التبعية الجزئية (الأساليب البلاغية كالإيجاز والحصص)،⁵

¹ - يوسف العايب، "توجيه دلالة النص والسياق الثقافي ودوره في إنتاج المعنى"، مجلة الأثر، عدد 21، ص 111-112.

² - عيساني عبد المجيد ولعبيدي منيرة، "ملامح النظرية السياقية عند الإمام الشافعي"، مجلة علوم اللغة وآدابها، العدد 14 - 2018م، ص 248.

³ - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة، ص 71.

⁴ - عمر قلالش، "معهود العرب اللساني عند الشاطبي"، ص 1.

⁵ - عمر قلالش، "معهود العرب اللساني عند الشاطبي"، ص 3-4.

وهذه الدلالات لا تفهم إلا من خلال "سياق النظم المعهود" أي الجمع بين الظاهر والباطن الذي يمنح النص ميزته الجمالية والإفهامية.¹

3 - 4 نماذج تطبيقية: لبيان قوة هذه العلاقة نورد النماذج التالية:

✍ **نموذج العقود:** في سورة المائدة، في قوله تعالى: (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)،² يتدخل المعهود الثقافي والسياق المقامي لتحديد مراد الشارع، فالعقود هنا تفهم وفق ما عهده العرب في بيئتهم من التزامات (كعقود الحلف والبيع والنكاح)، ولا يجوز حملها على الاصطلاحات القانونية المعاصرة التي لم تكن معهودة وقتها.³

✍ **نموذج "الأمّ" والبيئة الحسية:** في قوله تعالى: (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ)⁴ يمثل لفظ "أمّ" أنه من عادة العرب أن تسمي أصل الشيء به، وعليه فإن "أمّ الكتاب" يقصد بها أصل الكتاب، وقد يراد به اللوح المحفوظ.⁵

✍ **نموذج الخلف في الوعيد:** استند المفسرون إلى معهود العرب في الفرق بين "الخلف في الوعد" (وهو مذموم) و"الخلف في الوعيد" (وهو كرم) لفهم نصوص الوعيد بالعقاب، وهو ما يؤكد أن عادات العرب القولية هي قرائن سياقية ضرورية لرفع اللبس عن النص.⁶ [الوعد والوعيد]

1 - مجدد عدة، "المقولات الأصولية"، ص 73.

2- سورة المائدة، الآية 01.

3 - الشاطبي، "الموافقات"، ص 76.

1 سورة الزخرف الآية 4

5 - باي بن زيد، "عادات العرب في الجاهلية وأثرها في فهم القرآن الكريم"، مجلة الدراسات الإسلامية، عدد 05، ص 88.

6 - المرجع نفسه، ص 93.

5.3 تعريف المخاطبين: ينطلق الشاطبي من رؤية تداولية تربط بين طبيعة الخطاب وبين الوضع المعرفي للمخاطبين، معتبراً أن "المعهد اللساني" هو الجسر الذي يربط بين مراد الشارع وبين إدراك المكلف، ويمكن مقارنة تعريف المخاطبين من خلال ثلاث مستويات أساسية:

✍ **المستوى التداولي (المستقبل/ المرسل إليه):** هو الطرف الذي تتوجه إليه الرسالة، بقصد التأثير في مواقفه وأفكاره أو سلوكه، ويقع على عاتقه العبء الأكبر في نجاح الدورة التخاطبية من خلال قدرته على "حل مقفلات النص" بما يمتلكه من كفاءات وخبرات.¹

✍ **المستوى الأصولي (المكلف):** هو المحكوم عليه الذي تتوجه إليه الأحكام الشرعية. ويشترط فيه الأصوليون "أهلية الإدراك"، فلا يصح خطاب من لا يفهم (كالمجنون والصبي)، لأن كل خطاب متضمن للأمر بالفهم، ومن استحالة فهمه استحالة تكليفه.²

✍ **المستوى التاريخي (معهود الأميين):** يحدد الشاطبي المخاطبين الأوائل للقرآن بأنهم "العرب الأميون"، وهم الجماعة التي شهدت زمن الوحي وعاصرت تنزيله، حيث نزل الخطاب مراعيًا لمداركهم الفطرية وبساطة علومهم.³

1 - مجدد عدة، "المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، ص 64.

2 - الشاطبي، "الموافقات"، ص 173.

3 - عبد الكريم عثمان، "قاعدة معهود الأميين عند الشاطبي: دراسة تحليلية نقدية"، مجلة كلية أصول الدين، العدد 34، ص 607.

6.3 علاقة المعهود بالوضع المعرفي للمخاطبين: تتجلى العلاقة في أن الشريعة "أمية" لأنها نزلت بلسان أمة أمية، وهذا الربط يفرض مجموعة من الالتزامات المنهجية،¹ هي:

✍ **مراعاة القدرة الإدراكية:** نزل الخطاب وفق ما عهده العرب في لسانهم من ألفاظ وأساليب، مبتعداً عن الاصطلاحات الفلسفية أو العلوم المعقدة التي لم تكن في معهودهم وقتها، لضمان وقوع الإفهام.²

✍ **المعهود كعاصم من الاعتساف:** إن الجهل بالوضع الثقافي والاجتماعي للمخاطبين وقت التنزيل يؤدي إلى تحميل النص معانٍ حادثة، وهو ما حذر منه ابن تيمية بقوله: "إن من أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله؛ أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح".³

✍ **الفهم الجمهوري:** يمثل المعهود "القدر المشترك" بين الجماعة اللغوية، مما يضمن وجود "فهم جمهوري" موحد يمنع تشتت المقاصد ويحقق الامتثال الكلي وإلغاء كل فهم لا يمت بصلة إلى ما تعرفه العرب في كلامها.⁴

¹ - زلاقي حميد، "أهمية معهود العرب في تلقي الخطاب الوحي"، مجلة دراسات، مجلد 12، العدد 01، ماي 2023، ص908.

² - أحمد شيخ عبد السلام، "معهود العرب في تلقي الخطاب الديني"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، المجلد 17، العدد 48، 2002م، ص1-2.

³ - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، "مجموع الفتاوى"، المكتبة الإسلامية، ج 12، ص 107-108.

⁴ - مجدد عدة، "المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، ص 71.

7.3 أثر المعهود في استجابة المخاطب (الامتثال): إن الغاية النهائية من الوظيفة الإفهامية هي نقل المخاطب من الإدراك إلى الفعل،¹ وتبرز أهمية المعهود هنا من خلال:

✍ الميراث الأسلوبي: استخدام القرآن لأساليب معهودة ك(الترغيب، التهيب، النداء) لإثارة انتباه المخاطب وحثه على الامتثال.

✍ تحصيل المعاني التبعية: ميّز الشاطبي بين "المعاني الأصلية" (التي تشترك فيها الأمم) و"المعاني التبعية" (التي يختص بها لسان العرب)، والمخاطب العربي هو الأقدر على إدراك هذه الدقائق البلاغية التي تخدم المقصد التشريعي.²

المحور الثاني: الوظيفة الإفهامية في الدرس اللساني

1. عناصر الوظيفة الإفهامية: تعد الوظيفة الإفهامية في الفكر الإفهامي الركيزة الأساسية لوضع الشريعة، إذ أن الشارع لم يقصد بالخطاب مجرد الإخبار، بل قصد وقوع "الفهم الجمهوري" الذي يشترك فيه كافة لضمان الامتثال،³ وتتجلى هذه الوظيفة من خلال "حلقة تواصلية" تتألف من العناصر التالية:

1 - أحمد المتوكل، " التركيبات الوظيفية"، نقلاً عن مجدد عدة المراجع السابق، ص 66.

2 - مجدد عدة ، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية ، ص 73.

3 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، ص 70.

✍ **المرسل (الشارع الحكيم):** "قصد الإفهام ومالك البيان" يمثل الشارع مصدر الخطاب، وتتمحور وظيفته اللسانية حول "القصد إلى الإفهام" فالمرسل في الخطاب الشرعي يتجاوز الوظيفة التعبيرية ليصل إلى الوضوح التام.¹

ويرى الشاطبي أن المرسل هو مالك البيان، ومن مقتضيات حكمته مراعاة "الوضع المعرفي" للمخاطبين، فهو يخاطبهم بما يعقلون، وهو ما يدخل تحت مدركاتهم الحواسية والعقلية.²

○ **مثال:** عندما يوجه الشارع خطاباً تكليفيًا، فإنه يراعي المعهود الذهني للمتلقى، فلا يخاطبه بالغاز أو علوم لم تصل إليها مداركهم وقت التنزيل [كالعلوم الفلكية المعقدة]، لأن ذلك يؤدي إلى انقطاع الدورة التواصلية.³

✍ **الرسالة (الخطاب العربي):** وهي الوسيط الذي يحمل مقصود المرسل، ويشترط فيها أن تكون جارية على "معهود العرب" أي القواعد والمواضعات اللغوية التي ألفها المخاطبون الأولون وقت التنزيل،⁴ حيث أن الرسالة في المنظور الوظيفي ما يسمى "القوة الإنجازية"، فالأمر والنهي ليسا مجرد بنى نحوية، بل هما مثيرات أسلوبية تهدف لتحويل المكلف من السكون إلى العمل،⁵ كما تنقسم المعاني في الرسالة إلى:

1 - الشاطبي، "الموافقات"، ص 268

2 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، ص 70.

3 - عبد الكريم عثمان علي "قاعدة معهود الأميين عند الشاطبي": دراسة تحليلية نقدية، مجلة كلية أصول الدين، العدد 34، ص 606-607.

4 - مجدد عدة، "المقولات الأصولية في الوظيفة"، ص 68

5 - يونس علي محمد محمد: "علم التخاطب الإسلامي": دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي ص 06، نقلاً عن مجيد عدة، المرجع السابق، ص 74.

معانٍ أصلية: تشترك فيها سائر اللغات [كالإخبار المطلق]، ويمكن ترجمتها.

معانٍ تبعية: وهي الخصائص البلاغية التي يتفرد بها اللسان العربي، وهي جوهر المعهود الذي يقع فيه الإنجاز، ولا يصح الفهم الحقيقي للرسالة إلا بالإحاطة بها،¹ مثال: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾،² فالرسالة هنا استخدمت مثير النداء [يا أيها] لتنبيه المتلقي، وقوة الأمر للالتزام، وفق سنن العرب في توثيق المعهود.³

المرسل إليه (المكلف): "شروط الأهلية والفك الرمزي" هو الطرف المنوط به لفك رموز الرسالة، ويشترط البحث في هذا العنصر لنجاح الوظيفة الإفهامية توفر مؤهلات محددة،⁴ منها:

أ. **الأداة الإدراكية [العقل]:** يعتبر الأصوليون العقل شرطاً جوهرياً للإفهام، فخطاب من لا يعقل [كالمجنون والصبي] هو خطاب فاشل وظيفياً، لأنه "من لم يفهم كيف يقال له افهم".⁵

1 - محمد سالم أبو عاصي، علوم القرآن عند الشاطبي، دار البصائر، القاهرة، ص 51.

2 - سورة المائدة، الآية 01.

3 - رومان جاكبسون، "قضايا الشعرية": ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، ص 30، نقلاً عن مجيد عدة، المرجع السابق، ص 76.

4 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 70.

5 - الشاطبي: "الموافقات"، نقلاً عن مجيد عدة، المرجع السابق، ص 71.

ب. **الملكة اللسانية:** يجب أن يمتلك المتلقي "الخبرة الموقعية" باللغة العربية، ولذا كان فهم الصحابة هو "المعيار الأسمى" في العملية الإفهامية لعصرهم التنزيل، وحيازتهم لأسرار المعهود اللساني.¹

✍ **السياق:** المرتكز التداولي للإفهام وهو البيان، يعد السياق [سواء سياق المقال أو سياق الحال] عنصراً متمماً لا تكتمل الوظيفة الإفهامية بدونه، فهو الذي يرفع الإشكالات الدلالية ويكشف عن مراد المرسل،² ويشمل ذلك "أسباب النزول" و"عادات العرب" التي صاحبت الخطاب، فبدون سياق قد يحمل اللفظ معنى على غير معهود.³

✍ **السنن المشتركة (المعهود):** هي "القاعدة الصلبة" وهو ما يعبر عنه بالقدر المشترك في عناصر التواصل والوظيفة الإفهامية: تلك القاعدة الصلبة من المعاني والأعراف التي يتشاطرهما المرسل والمرسل إليه لضمان انتقال الرسالة من حيز القول إلى حيز الفهم ثم الامتثال.⁴

وبما أن الدراسات تؤكد أن جذور الوظيفة الإفهامية متجذرة في التراث اللغوي العربي القديم، وخاصة لدى علماء الفقه وأصوله، الذين اهتموا بمقصدية النص القرآني،⁵ ورغم أن هذا المصطلح بلفظه الحالي (la

1 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 70.

2 - المرجع نفسه، ص 72.

3 - أحمد شيخ عبد السلام، "معهود العرب في تلقي الخطاب الديني"، آفاق تراثية، ص 331.

4 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، ص 64.

5 - لعبيدي منيرة وعيسات عبد المجيد، "ملامح النظرة البيانية عند الإمام الشاطبي"، مجلة علوم القرآن العربية وآدابها، 2018، ص 244.

(**fonction cognitive**) تبلور في اللسانيات الحديثة مع حلقة براغ وإسهامات رومان جاكبسون في القرن العشرين، إلا أن جوهر هذه الوظيفة.

كان ركيزة أساسية في الفكر العربي منذ القرون الأولى للهجرة،¹ فشهد البحث اللساني تحولاً جوهرياً من البنيوية الوصفية نحو الاتجاه الوظيفي التداولي وهو الاتجاه الذي جعل من الوظيفة الإفهامية مكوناً رئيسياً في دورة التخاطب،² إذ إنها تتعلق بقدرة المتلقي على استيعاب الرسالة، وفك رموزها وحل مقفلاتها، مما يضمن نجاح العملية التواصلية، وتعتمد الوظيفة الإفهامية عند "رومان جاكبسون" على مرتكزات أساسية هي:

- **محورية المتلقي (المرسل إليه):** يرى جاكبسون أن مشاركة المتلقي هي جزء لا يتجزأ من نجاح دورة التخاطب، إذ إن الرسالة تظل ناقصة ما لم يتم فك رموزها بناءً على الكفاءات والخبرات التي يمتلكها المرسل إليه.³
- **المقصد التأثيري (الرسالة):** تهدف الوظيفة الإفهامية إلى تحديد العلائق بين الرسالة والمرسل إليه بغية الحصول على "ردة فعل" محددة، فالتركيز فيها ينصب على المخاطب باعتباره المسؤول عن تفسير رموز الرسالة والاستجابة لمقتضاها.⁴

1 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 77.

2 - المرجع نفسه، ص 64-66.

3 - رومان جاكبسون، "قضايا الشعرية" ترجمة الولي ومبارك حنون، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 1988، ص 28.

• **إثارة الانتباه (المرسل):** توظف الرسالة الإفهامية ملفوظات تلفت انتباه السامع وتتحقق من استمرارية دورة التخاطب، وهو ما يسميه بعض اللسانيين بـ "الوظيفة الانتباهية" أو "التأثيرية".¹

◦ وقد حدد جاكبسون ومعاصروه قوالب لسانية معينة تعد التعبير الأكثر خلوصاً عن الوظيفة الإفهامية، وتعمل كأدوات إنجازية تهدف للإقناع والإذعان.²

◦ **أسلوب النداء:** يعد النداء أوضح تجليات الوظيفة الإفهامية، لأنه استدعاء مباشر للمخاطب بصيغة لفت انتباهه، وتجعله طرفاً جوهرياً في التواصل مما يثير لديه استجابة متوقعة.³

◦ **أسلوب الأمر:** يمثل الأمر القوة الإنجازية للوظيفة الإفهامية، حيث يهدف المرسل من ورائه إلى التأثير المباشر على سلوكيات وأفكار المرسل إليه وحته على القيام بعمل ما.⁴

◦ **المثير الأسلوبي:** هو رابط وظيفي بين المرسل والرسالة يهدف لتنبيه المخاطب وإقناعه، حيث تتجلى فاعلية الخطاب في قدرته على إحداث أثر ملموس في المتلقي.⁵

1 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 64.

2 - مجدد عدة، نفس المصدر، ص 67.

3 - مجدد عدة، نفس المرجع، ص 66.

4 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 70.

5 - مجدد عدة: نفس المرجع، ص 73-74.

وقد تعددت الأمثلة التي ساقها اللسانيون الموظفون لتوضح كيفية اشتغال هذه الوظيفة في الواقع التداولي اليومي والشرعي:

أ. **صيغ التأكيد والتحقق:** مثل "أُسمعني؟ قل أُسمعني؟"، فالهدف هنا هو إثارة انتباه المخاطب والتأكد من وصول الرسالة وفهم محتواها.¹

ب. **صيغ الطلب والعرض:** تتدرج جمل التماس والتحضيض والطلب ضمن المحتوى الإفهامي للخطاب حيث يتعين ثمرتها في الحصول على التبليغ الفعلي من خلال فهم المراد.²

ج. **النداءات المقصدية:** مثل النداءات الواردة في النصوص التشريعية (مثل: "يا أيها الذين آمنوا")، فهي تعمل كمثيرات أسلوبية تضع المتلقي في حالة تهيؤ نفسي تام لفك رموز الحكم الذي سيعقبها، مما يرفع من كفاءة الامتثال.³

خلاصة: إن المقولات الأصولية العربية قد سبقت اللسانيات الوظيفية الغربية بقرون في إدراك أن اللغة حدث كلامي يهدف لإحداث أثر في المتلقي، فبينما قدم الغرب النموذج اللساني المفسر، كان العرب قد قدموا النموذج التشريعي المطبق الذي جعل من الإفهام مناطاً للالتزام والعمل.

2. مستويات الإفهام: (من فهم اللفظ إلى استيعاب المقصد والامتثال)

1 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية : وضع الشريعة للإفهام لدى الشاطبي، ص 66.

2 - الزركشي بدر الدين، "البحر المحيط في أصول الفقه"، دار الكتب، 1994م، ج4، ص 257.

3 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 76.

تعد قضية "الإفهام" الركيزة الأساسية التي أقام عليها العلماء دراساتهم في الشريعة منطلقين من مقولة أن "كل خطاب متضمن لأمر الفهم"، فالوظيفة الإفهامية هي حلقة الوصل التي تجمع بين الشارع (المرسل) والمكلف (المرسل إليه) عبر النص (الرسالة)¹ وتتدرج هذه الوظيفة الإفهامية عبر مستويات دلالية محكومة بضابط "معهود العرب" لضمان الوصول إلى الفهم الجمهوري الباعث على الامتثال.

2 - 1 معهود الخطاب (معهود العرب): تحدث الشاطبي عن هذه المسألة (المستوى) مبيناً طبيعة الخطاب الشرعي الموجه للمتلقى، وهذه الطبيعة لا تخرج عن العرف اللساني العربي المعهود زمن التنزيل بل تعد المرجعية الأساسية في كل عصر، قال: «أن الشريعة عربية، وإذا كانت عربية، فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم...» وفي هذا الكلام يبين الشاطبي أثر الوظيفة الإفهامية في التواصل من حيث تحقيقه أو عدمه - وذلك عند ربطه بين الفهم واللسان المستعمل بين المخاطبين على مقتضى تواضعهم اللغوي²، ويرى الشاطبي أن المعاني نوعان عند ربط الفهم بـ:

. معانٍ أصلية: وهي المعاني الأولية التي تشترك فيها اللغة العربية مع باقي الألسن، وتمثل قدراً مشتركاً بين جميع اللغات، يمكن الإخبار عنها بأي لغة كانت لأنها تعبر عن القصد المطلق، والتي بدورها تسمح بترجمة القرآن

¹ - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية : وضع الشريعة لإفهام لدى الشاطبي، ص 67.

² - ينظر: مجدد عدة، نفس المرجع، ص 68

ومعانيه وتفسيرها للعامة ولغير الناطقين بالعربية لتوضيح المقاصد الأصلية مثل وجوب الصلاة، تحريم القتل، ويمكن التعبير عنها بلغة أخرى، وفي قوله تعالى «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ»¹ افهم أصل التحريم يشترك فيه كل من عرف لغة العرب.²

. **معانٍ تبعية:** هي دلالات وأساليب بيانية يتفرد بها اللسان العربي وتعد من خصوصياته، ولا يمكن ترجمة هذه المعاني أو نقلها إلى لغات أخرى بنفس الدقة والبيان الموجودة في النص القرآني، ويتوقف كمال الفهم وتحصيل كامل المعاني على إدراك هذه الخصوصيات اللسانية العربية، مثال: "قام زيد" و"إن زيدا قائم"، في العربية تعطي دلالة إضافية (تبعياً) للتأكيد أو إزالة الشك وهو ما يصعب نقله من العربية إلى لغة أخرى.³

2-2 المعهد اللفظي: يرى الشاطبي أن "معهود الأميين" لا يقتصر على المعاني فقط، بل هو جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب، وأن القرآن الكريم صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ وأدق المعاني، وقال الخطابي: "وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ولا ترى نظاماً

سورة المائدة ، الآية 3

1

2 - ينظر: مجدد عدة، "المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية: وضع الشريعة للإفهام لدى الشاطبي"، ص 69.

3 - ينظر: مجدد عدة، المقولات الأصولية، نفس المرجع، ص 69.

أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء لذي عقل أنها هي تشهد لها العقل بالتقدم في أبوابها".¹

ويعتبر معهود العرب اللساني معياراً مرجعياً تقاس به صحة الاستدلال بالنص الشرعي، وتقوم به عمليات التفسير، وتوزن به طرائق الاستنباط اعتباراً وإبطالاً، قبولاً ورداً، فكل تفسير للنصوص الشرعية يهمل فيها هذا المعيار الدلالي تكون قراءة قاصرة ومغلوبة، تتعسف في تحميل الألفاظ ما لا تحتمله من الدلالة خارج عنه مقصود الشارع، مصادمة لمراده.²

ذلك أن ألفاظ القرآن والسنة التي وقعت المخاطبة والتكليف، إنما روعي فيها معهود العرب اللساني ساعة تنزل الخطاب، وسأيرت أعرافهم اللغوية وسنتهم في التخاطب،³ والفهم للمعهود اللفظي يكون على مستويين:

أ. المدلول على مقتضى ظاهره: يعد التمسك بظواهر النصوص أصلاً من أصول الاستدلال الشرعي، وقاعدة كبرى في الوظيفة الإفهامية للخطاب، فالأصل في الكلام هو الإفهام، ولا يتحقق هذا الإفهام للمكلفين إلا إذا جرى الخطاب على السنن المعهودة في لسانهم،⁴ وقد أولى الإمام الشاطبي المسلك

1 - عبد الكريم عثمان علي، "قاعدة معهود الأميين عند الشاطبي وعلاقتها بفهم القرآن"، الإمارات، ص 606-707.

2 - قلاش عمر، "معهود العرب اللساني عند الشاطبي، (قراءة تجديدية في مناهج تأويل الخطاب الشرعي)"، ص 2.

3 - قلاش عمر، نفس المرجع، ص 2.

4 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 71.

الظاهري عناية فائقة، معتبراً إياه المعيار الأول الذي تبنى عليه الأحكام، والوزن الذي تضبط به التأويلات لمنع "الاعتساف الدلالي".¹

أولاً: مفهوم الحمل على الظاهر وعلاقته بالمعهود: يقصد بالحمل على الظاهر هو انتقال ذهن السامع (المكلف) إلى المعنى المتبادر من اللفظ بناءً على ما تواضع عليه العرب في لسانهم وقت التنزيل،² فالحمل هو "اعتقاد السامع لمراد المتكلم من لفظه" وهو ثمرة الفهم التي تلي مرحلتى "الوضع" و"الاستعمال"،³ ويرتبط الظاهر عند الشاطبي ارتباطاً عضوياً بـ "معهود العرب"، فالشريعة "أمية" نزلت وفق مدارك العرب الأميين، وما عهدوه في ألفاظهم، وأساليب معانيهم،⁴ لذا فإن الظاهر المعتبر شرعاً هو "المفهوم العربي" الذي لا إشكال فيه والذي اتفق عليه أهل اللسان.⁵

ثانياً: رتبة الظاهر بين المسالك التأويلية: صنف الشاطبي مسالك الفهم تجاه ظواهر النصوص وبواطنها إلى ثلاث اتجاهات رئيسة لضبط المدلول:

1 - عمر قلاللش، "معهود العرب اللساني عند الشاطبي (قراءة تجديدية في مناهج تأويل الخطاب)"، وهران، ص 03.

2 - مجدد عدة، المقولات الأصولية، المرجع نفسه، ص 68.

3 - مجدد عدة، المرجع نفسه، ص 68.

4 - عبد الكريم عثمان علي، "قاعدة معهود الأميين عند الشاطبي، أدلتها وعلاقتها بفهم القرآن الكريم" - دراسة تحليلية نقدية، مجلة كلية أصول الدين عدد 34، الجامعة القاسمية، الإمارات العربية، ص 602.

5 - محمد سالم أبو عاصي، "علوم القرآن عند الإمام الشاطبي"، ص 82.

✎ **مسلك الظاهرية:** وهم الذين وقفوا عند "الحمل على الظاهر مطلقاً"، ونفوا القياس والعلل، مما أدى إلى قصور في إدراك مقاصد الشارع.¹

✎ **مسلك الباطنية:** وهم الذين أغرقوا في "التأويل الباطل" الذي لا يشهد له لسان العرب، فجعلوا الخطاب كله باطناً، وهو رأي قصد إبطال الشريعة.²

✎ **مسلك الوسط:** هو الجمع بين الظاهر والبواطن بحيث يعمل بظاهرة ابتداءً، ويستأنس بالباطن (المقصد) بشرط أن يكون موافقاً لمقتضى الظاهر المعهود في لسان العرب ولا يعارضه في محل آخر.³

ثالثاً: نماذج تطبيقية للمدلول على مقتضى ظاهره:

✎ **مثال: آية إكمال الدين:** قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾،⁴ فالمدلول في هذه الآية هو على مقتضى ظاهره وهو إتمام النعمة والأحكام فهنا فرح الصحابة، وبكى عمر وقال: "ما بعد الكمال إلا النقصان" ... مستشعراً نعيه صلى الله عليه وسلم، وعاش بعدها إلا واحداً وثمانين يوماً. فالمعنى الخفي الذي فطن إليه عمر وابن عباس - رضي الله عنهما - إنما هو راجع إلى حدة الذكاء ونفاذ البصيرة التي تلمح من المعاني ما يكون لازماً للمعاني التي وضعت الألفاظ بإزائها،⁵ وهو فهم لا ينقص الظاهر، بل يكمله.

1 - الشاطبي، "الموافقات" لشرح وتخريج الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، ص 257.

2 - الشاطبي، المصدر نفسه، ص 257.

3 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 68.

4 - سورة المائدة، الآية 03.

5 - محمد سالم، "علوم القرآن عند الإمام الشاطبي"، دار البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط(11426هـ/2005م)، ص 81.

✎ **مثال لحم الخنزير:** في قوله تعالى: ﴿... أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ...﴾¹، جرى المدلول على مقتضى ظاهر لفظ "اللحم" في معهود العرب، والذي يتناول عين الخنزير بجميع أجزائه (بما فيها الشحم) عند إطلاق اللفظ، يقول الشاطبي: "الثالث قول من زعم أن المحرم من الخنزير إنما هو اللحم، وأما الشحم فحلال".²

لأن القرآن إنما حرم اللحم دون الشحم، ولو عُرف أن اللحم يطلق على الشحم أيضاً بخلاف الشحم فإنه لا يطلق على اللحم - لما يقل ما قال. فالمحرم هو الجملة بناءً على العرف اللساني المتبادر.³

✎ **مثال رؤوس الشياطين:** في قوله تعالى: ﴿طُلُعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾⁴، المدلول هنا الظاهر هنا ليس رؤية عينية للشياطين، بل هو "تمثيل للقبح" في المنظر والأصل والثمر والملمس، وقال الزمخشري: "وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر، لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لا اعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير، فيقولون في قبيح الصورة (كأن وجهه وجه شيطان) أو (كأنه رأس شيطان) وإذا صوره المصورون جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله..⁵

1 - سورة الأنعام، الآية 145.

2 - عبد الكريم عثمان علي، "قاعدة معهود الأميين: دراسة تحليلية نقدية"، مجلة كلية أصول الدين، عدد 34، ص 608.

3 - عبد الكريم عثمان علي، المرجع نفسه، ص 608.

4 - سورة الصافات، الآية 65.

5 - باي بن يزيد، "عادات العرب في الجاهلية وأثرها في فهم القرآن الكريم"، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 05، ص 89.

رابعاً: ضوابط العدول عن الظاهر: لا يجوز صرف اللفظ عن معناه الراجع الى معناه في المسائل القطعية إلا عند قيام الدليل القطعي العقلي¹، فالأصل هو البقاء على الظاهر ما لم يصرفه صارف، لأن "التعرف على معهود الخطاب هو أضمن الوسائل للوصول إلى مقاصد المتكلم"².

ب. المعهود اللفظي على مقتضى تأويله: تعد الوظيفة الإفهامية للخطاب الشرعي عملية تداولية معقدة تنبني على ركنين: الوضع (جعل اللفظ دليلاً على المعنى) والحمل (اعتقاد السامع لمراد المتكلم)³، والأصل في لسان العرب هو جريان الخطاب على ظاهره المعهود زمن التنزيل، غير أن إدراك "كمال المعنى" ومحاصرة مقاصده، يتطلب أحياناً تجاوز دلالة اللفظ المفردة إلى دلالات "تابعية" يفرضها السياق أو تقتضيها عادات العرب⁴، ومن هنا تبرز أهمية "التأويل المعتبر"، وهو صرف اللفظ عن معناه الراجع إلى معنى مرجوح بمسوغات شرعية وبيئية تتضمن عدم الحيدة عن مقصود الشارع⁵.

1 - محمد سالم أبو عاصي، "علوم القرآن عند الإمام الشاطبي"، ص 109.

2 - محمد شيخ عبد السلام، "معهود العرب في تلقي الخطاب الديني"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، مجلد 17، عدد 48، 2002م، ص 10.

3 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 68.

4 - أحمد شيخ عبد السلام، "معهود العرب في تلقي الخطاب الديني"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، مجلد 17، العدد 48، 2002م، ص 307.

5 - أحمد شيخ عبد السلام، "معهود العرب في تلقي الخطاب الديني"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، مجلد 17، عدد 48، 2002، ص 417.

أولاً: المسوغات اللغوية (النقل الشرعي والمعهود المستحدث): يعد "النقل" من أهم المسوغات اللغوية التي تخرج اللفظ عن معهوده اللغوي العام إلى معهود شرعي خاص، وهو ما يسمى "المعهود المستحدث".

✍ **حقيقة النقل الشرعي:** قام الإسلام بنقل جملة من الألفاظ من دلالتها الأصلية إلى معانٍ اصطلاحية مبتكرة لتصبح وسيلة لحمل التكاليف كالصلاة والزكاة فالخطاب الشرعي وإن كان ذا طبيعة لغوية مترجماً في مجموعة من التراكيب اللفظية، إلا أن دلالة اللغة على المعنى لا تختزل في مجرد اعتصار الألفاظ أو الانكفاء على المعاني القاموسية التي تقابل هذه الألفاظ على مقتضى المواضع اللغوية، ذلك أن فهم معنى الكلام ومحاصرة مقاصده قدر زائد على مجرد إحصاء ألفاظه، ومن ثم كان الوقوف على كمال المعنى وتامم القصد الذي سيق الكلام لإفادته لا يتحقق إلا بالركون إلى عناصر خارجية.¹

✍ **أثر النقل في التأويل:** يرى الأصوليون أن ورود هذه الألفاظ في الخطاب يعد مسوّغاً كافياً لتأويلها وصرفها عن معناها اللغوي الأصلي (كالدعاء في الصلاة) إلى معناها الشرعي المخصوص، لأن هذا النقل صار هو "المعهود" الذي يجب أن ينصرف إليه الفهم فور إطلاق اللفظ لضمان الامتثال.²

1- عمر قلالش، "معهود العرب اللساني عند الشاطبي، قراءة تجديدية في مناهج تأويل الخطاب الشرعي"، جامعة وهران، الجزائر، ص04.

2- عيساني عبد المجيد والعبيدي منيرة، "ملامح النظرية السياقية عند الشاطبي"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد 14، جوان 2018، ص248.

ثانياً: المسوغات غير اللغوية (أسباب التنزيل وملاك البيان): يعتبر السياق (المقالي والمقامي الحالي) "ملاك البيان"، وأقوى القرائن الصارفة للفظ عن ظاهره الإفرادي إلى مراد الشارع الحقيقي.¹

✍ أسباب النزول كقرينة تأويلية: إن الجهل بأسباب النزول ومقتضيات الأحوال حالة التنزيل يوقع في إشكالات تفسيرية عميقة بسبب المسالك الثلاثة منها قائل بالظاهر مطلقاً ونفي القياس والعلل، وهم الظاهرية، وقائل بالباطن والإغراق في المعاني التي لا يشهد لها لسان العرب بدليل، والمعتمد عليه في هذا المسلك هو التأويل الباطل الذي لا مسوغ له على الإطلاق، وهذا رأي قاصد لإبطال الشريعة وهم الباطنية². إلا أن العلماء لم ينفوا الباطني على الإطلاق لكن اشترطوا لصحته أن يكون مقررأ في لسان العرب مقررأ وفق المقاصد العربية، وله شهود في محل آخر تشهد بصحته، فمعرفة السبب تعين على فهم المسبب وتوجيه اللفظ نحو مراده المقاصدي، إذ إن "العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".³

✍ عدم تجزئة الخطاب: الكلام عند العرب "يُنْبئُ أوله عن آخره، وآخره عن أوله" لأنه لا سبيل للمتفهم عن ردّ آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره،

1- عبد الحق سوداني، "علاقة السياق بالمعنى التأويلي في كتاب الموافقات للشاطبي"، مجلة أبولونيوس، مجلد5، العدد 10 جوان 2018، ص 81.

2- مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 73.

3- أحمد شيخ عبد السلام، "معهد العرب في تلقي الخطاب الديني"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلد 17، العدد 48، 2002م، ص 07-08.

وهذا يظهر جلياً في نصوص الأحكام التي لا بد أن يُحمل بعضها على بعض،
وُثِّفهم مقاصدها في ضوء تكتلها واعتبار ما يحيط بها من قرائن مختلفة¹.

○ **مثال ذلك:** قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾²، فالظاهر اللفظي هو فعل
التقليب، لكن السياق المقامي يسوّغ تأويله إلى الكناية عن الندم والحسرة وهو
فعل معهود عند العرب في هذا المقام للتعبير عن الخسارة³.

ثالثاً: المسوغات البيئية والثقافية (عادات العرب في التخاطب): نزلت
الشرعية "أميّة" تراعى مدار العرب المعهودة وعاداتهم في التعبير عن
مقصودهم مما يجعل البيئة مرجعاً تأويلياً أساسياً⁴.

✍ **المعهود الثقافي والتمثيل:** استخدم القرآن تمثيلات معهودة عند العرب
لتقريب المعنى الذهني، مما يسوّغ تأويل الألفاظ من حقيقتها العينية إلى دلالتها
المجازية المألوفة في مخيلتهم⁵.

○ **مثاله:** وصف طلع شجرة الزقوم بـ (رؤوس الشياطين)، المسوّغ هنا هو
جريان عادة العرب في تمثيل "غاية القبح" بما يستقر في مخيلتهم الثقافية، وإن

1 - مجدد عدة، المرجع نفسه، ص 71.

2 - سورة الكهف، الآية 42.

3 - أحمد شيخ عبد السلام، "المنظور الثقافي لدراسة الأساليب البيانية"، المجلة العربية للأدب، مجلد
3، عدد 1، ص 43.

4 - عبد الكريم عثمان علي، "قاعدة معهود الأميين عند الشاطبي: دراسة تحليلية نقدية"، مجلة كلية
أصول الدين، العدد 34، ص 607-608.

5 - ينظر: زلافي حميد، "أهمية معهود العرب في تلقي خطاب الوحي"، مجلة دراسات، المجلد 12،
العدد 1، ماي 2023، ص 906.

لم يروه عياناً، فالتأويل هنا يصرف اللفظ من الرؤية البصرية إلى بشاعة المنظر المعهود.¹

✍ **أثر العادات في تحديد المسميات:** إن إدراك عادات العرب في بيئتهم (الكرم والضيافة) يمنح المفسر مسوغاً للتأويل الألفاظ وفق تلك الأعراف.²

○ **مثاله:** لفظ "اللحم" في آية المحرمات، حيث جرى المعهود اللفظي والبيئي عند العرب على أن اللحم يتناول "الشحم" عند الإطلاق، مما سوّغ تأويل النهي ليشمل الجملة بجميع أجزائها بناءً على العرف البيئي المتبادر، وليس بناءً على التقسيمات التشريعية الحادثة.³

إن المعهود اللفظي في القرآن لا يفهم بمعزل عن بيئته وسياقه، فالتأويل يخرج عن المدار المعهود للعرب ومقاصد الشريعة،⁴ فكل تأويل يخرج عن مدار المعهود للعرب زمن التنزيل (كالتأويلات الباطنية) هو تأويل فاسد يتعسف في تحميل الألفاظ ما لا تحتل.⁵

✍ **بيان القصد الشرعي وأثره في تحقيق الامتثال والالتزام:** تعد الغاية الأساسية من وضع الشريعة الإسلامية هي: "إخراج المكلف من داعية هواه

1 - باي بن يزيد، "عادات العرب في الجاهلية وأثرها في فهم القرآن"، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 05، ص 89.

2 - باي بن يزيد، المرجع نفسه، ص 11.

3 - عبد الكريم عثمان علي، "قاعدة معهود الأميين عند الشاطبي: دراسة تحليلية نقدية"، مجلة كلية أصول الدين، العدد 34، ص 607-608.

4 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 72.

5 - أحمد شيخ عبد السلام، "معهود العرب في تلقي الخطاب الديني"، ص 4-5.

حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد له اضطراراً"¹، ولتحقيق هذه الغاية العملية تأسست الوظيفة الإفهامية التي تجعل الفهم وسيلة ضرورية لا غنى عنها، إذ لا يصح تكليف من لا يفهم كالجماد أو المجنون،² فبيان القصد الشرعي ليس مجرد ترف معرفي، بل هو عملية تواصلية تهدف لإحداث أثر تطبيقي جوهره "الامتثال".³

ويعتمد نجاح هذا البيان على انضباط الخطاب بـ "المعهد اللساني للعرب"، فكل تفسير للنصوص الشرعية يهمل فيها هذا المعيار الدلالي تكون قراءة قاصرة مغلوطة لا يعتد به بناء الأحكام،⁴ والمكلف مطالب بـ "الحمل" وهو اعتقاد مراد الشارع من اللفظ بناءً على ما تعارف عليه العرب وقت التنزيل، ولتوجيه هذا الفهم نحو الامتثال الصحيح يبرز دور السياق باعتباره "ملاك البيان"، حيث ترفع القرائن السياقية (من أسباب نزول ومقتضيات أحوال) الاحتمالات المرجوحة وتحصر اللفظ في قصده الحقيقي.

ولكي يتحول النص من إدراك "ذهني" إلى "فعل خارجي"، اعتمد الشارع أدوات الإقناع والتأثير، فاللغة انعكاس لأعراف أصحابها وتصورهم للعالم الخارجي⁵، وتتجلى القوة الإنجازية للخطاب في أساليب النداء (الأمر والنهي) التي تلزم المكلف بالفعل أو الترك وأساليب النداء؛ مثل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

1 - الشاطبي، "الموافقات"، شرح وتخريج عبدالله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص 318.

2 - مجدد عدة، "المرجع نفسه"، ص 70.

3 - مجدد عدة، "المرجع نفسه"، ص 70.

4 - عمر قلالش، "معهد العرب اللساني عند الشاطبي: قراءة تجديدية في مناهج تأويل الخطاب الشرعي"، مجلد 17، العدد 2، ديسمبر 2023، ص 02.

5 - أحمد شيخ عبد السلام، "معهد العرب في تلقي الخطاب الديني"، 24-1-2026، ص 1-3.

آمنوا) التي تعمل كمنبهات مقصدية تهيي نفسية المخاطب لسرعة الاستجابة،¹ إن تضافر هذه العناصر اللسانية (اللفظ المعهود، والسياق المقامي، والمثير الأسلوبي)، يهدف للوصول إلى "الفهم الجمهوري" وهو القدر المشترك من المعنى الذي يرفع التشئت، ويجعل الخطاب عاماً في الإفهام كما هو عام في التكليف مما يضمن وحدة الامتثال في الأمة.²

3. نظرية الأفعال الكلامية وعلاقتها بالامتثال الشرعي: تعد اللغة في المنظور الأصولي واللساني الحديث "أداة إنجازية" لا تقف عند حدود الإخبار الوصفي، بل تتجاوز ذلك إلى إحداث تغييرات جوهرية في واقع المتلقي،³ وتلتقي عبقرية الشاطبي في تنظيره لـ "الوظيفة الإفهامية" مع "نظرية الأفعال الكلامية (Speech Acts Theory) التي أسسها "جون أوستين"، حيث يقرر أن "قول الشيء هو فعله"،⁴ وأن الخطاب الشرعي ليس مجرد رص للألفاظ، بل هو "حدث كلامي" متكامل يهدف لنقل المكلف من حيز الفهم الذهني إلى حيز الالتزام العملي، والامتثال لمقتضى التكليف.⁵

البنية التداولية للفعل الكلامي في الخطاب الشرعي: تقوم نظرية الأفعال الكلامية على ثلاثية متلازمة: (الفعل اللغوي (القول)، والفعل الإنجازي (القوة

1 - مجدد عدة، المقولات الأصولية، المرجع نفسه، ص 75-76.

2 - عبد الكريم عثمان علي، "قاعدة معهود الأميين عند الشاطبي: دراسة تحليلية نقدية"، مجلة أصول الدين، العدد 34، ص 607-608.

3 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 71-73.

4 - جون أوستين، "نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام" ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا 1991 ص 135، نقلاً عن مجدد عدة، ص 80.

5 - مجدد عدة، المقولات الأصولية، المرجع نفسه، ص 64.

المتضمنة في القول)، والفعل التأثيري (النتيجة المترتبة)¹، وتتجسد هذه الثلاثية في التشريع الإسلامي كآلية لتحقيق الامتثال:

✍ **القوة الإنجازية:** وهي مكنن القصد في الخطاب، فالأوامر والنواهي الشرعية تمتلك أغراضاً إنجازية متباينة بتباين سياقاتها وملابساتها،² فالفعل الكلامي في "الواجب" يحمل قوة إلزامية جازمة، بينما يعمل في "المندوب" قوة حافزة دون إلزام.³

. **الفعل التأثيري:** وهو الأثر الذي يحدثه الخطاب في نفس المكلف وغاية الشريعة فيه هي "إخراج المكلف عن داعية هواه" ليكون عبداً لله اختياراً،⁴ فالامتثال هنا هو الثمرة العملية "للفعل التأثيري" الذي ينجزه النص في وجدان المتلقي.⁵

✍ **المثيرات الأسلوبية ودورها في تعزيز الاستجابة التشريعية:** اعتمد الشارع على ما يسمى "بالمثيرات الأسلوبية" وهي ملفوظات قصدية تهدف للإقناع والتأثير لضمان فاعلية الخطاب،⁶ وتعمل هذه المثيرات كجسور تربط بين "فهم المراد" وبين "عزم الامتثال":

1 - مجدد عدة، المرجع نفسه، ص 75.

2 - محمد العبد، "تعديل القوة الإنجازية: دراسة في التحليل التداولي للخطاب"، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2014 ص 313.

3 - مجدد عدة، المرجع نفسه، ص 74-75.

4 - الشاطبي، "الموافقات"، شرح وتخريج الشيخ محمد دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 289.

5 - لعبيدي منيرة، وعيساني عبد المجيد، "ملامح النظرية السياقية عند الشاطبي"، مجلة علوم اللغة العربية وأدابها، عدد 14، جوان 2018، ص 251.

6 - مجدد عدة، المرجع نفسه، ص 73.

➤ **أسلوب النداء:** يحل النداء بـ (يا أيها الذين آمنوا) باعتباره فعلاً كلامياً غرضه "تنبيه" المخاطب واستدعاء انتباهه، مما يجعله في حالة تهيؤ نفسي تام لفك رموز التكليف اللاحق، وهو ما يرفع كفاءة الامتثال.¹

➤ **أساليب الترغيب والترهيب:** صنفت كأدوات تأثيرية تجمع بين "الرجاء" و"الخوف" فالترغيب فعل إنجازي يغري بالامتثال، والترهيب فعل يزرع عن المخالفة وكتاهما يهدف لتحقيق غرض الشارع في واقع المكلف، وهذا راجع إلى المناسبة بين الخطاب ومتلقيه وسياقه الديني والاجتماعي والثقافي.²

➤ نماذج تطبيقية لعلاقة بين الفعل الكلامي والامتثال:

تتجلى فاعلية الفعل الكلامي في تحويل النصوص إلى التزامات تشريعية عبر نماذج منها:

1. **الخبر المراد به الإنشاء:** في قوله تعالى: "حرمت عليكم الميتة"؛ يظهر الخطاب بصيغة الخبر، لكن قوته الإنجازية هي "الطلب والتحريم"³ فالامتثال هنا يقع بمجرد فهم "القصد الطلبي" الكامن وراء الصيغة الخبرية وفق معهود اللسان.⁴

¹ - ينظر: الزركشي، بدر الدين، "البحر المحيط في أصول الفقه"، دار الكتب، 1994م، ج 4، ص 257.

² - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 75.

³ - ينظر: محمد سالم أبو عاصي، "علوم القرآن عند الإمام الشاطبي"، دار البصائر، القاهرة، طبعة 1(2005/1462)، ص 138.

⁴ - عمر قلاش، "معهود العرب اللساني عند الشاطبي" قراءة تجديدية في مناهج تأويل الخطاب الشرعي، وهران، ص 06.

2 - قصد الامتثال الكلي: يقول الشاطبي أن: "مجرد قصد الامتثال للأمر والنهي أو الإذن كافٍ في حصول كل غرض"،¹ وهذا يعني أن الوظيفة الإفهامية قد حققت "قوتها الإنجازية" القصوى عندما تحول القول إلى "نية عزم" إلى "فعل امتثال".²

¹ - الشاطبي، "الموافقات"، شرح وتخريج الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 3، ص 222.

² - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 74.

الفصل الثاني : تجليات المعهود اللساني وأثره في الإفهام في سورة المائدة :

المحور الأول: رصد وتحليل الأساليب اللغوية في سورة المائدة

1. أسباب النزول
2. تحليل دلالات تكرار الأساليب وعلاقتها بتنشيط الأحكام في ذهن المخاطب
3. جدول إحصائي تحليلي يرصد الأساليب الواردة

المحور الثاني: مناسبة الأساليب لحال المخاطبين وتحقيق الإفهام :

1. تحليل أسلوب النداء والأمر في سورة المائدة ومناسبته لعقيدة المخاطبين وعاداتهم
2. فاعلية المعهود في تيسير فهم الأحكام التشريعية
3. الإفهام عبر الأساليب بمقتضى سليقة العرب

توطئة

الإفهام

المائدة للكشف عن الأساليب

ذلك من أثر الأساليب الحوارية في توطئة

داخل الخطاب القرآني .

المحور الأول: رصد وتحليل الأساليب اللغوية في سورة المائدة

2. أسباب النزول لسورة المائدة:

تعد سورة المائدة سورة مدنية بإجماع العلماء، وهي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم، وتكتسي دراسة أسباب نزولها أهمية بالغة في المنهج الأصولي، إذ يرى العلماء أن العلم بأسباب التنزيل "لازمة لمن أراد علم القرآن" لأنها القرائن الحالية التي ترفع الاحتمالات المرجوحة، وتكشف عن القصد الشرعي، وهو ما يطلق عليه "ملاك البيان".²

1.1 صفة نزول السورة ومكانتها في ختام التشريع: تمتاز سورة المائدة بخصوصية نزولها تعكس ثقل الأحكام النهائية الواردة فيها، فقد روي عن أسماء بنت يزيد أنها قالت: "إني لأخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة".³

وقد أكدت السيدة عائشة -رضي الله عنها- على إحكام هذه السورة بقولها: "هي آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه"⁴، وهذا يشير إلى أن السورة جاءت لتقرر المواثيق النهائية والعقود الملزمة للأمة في حلالها وحرامها.

1 - أبو الفداء إسماعيل عمر بن كثير القرشي الدمشقي، "تفسير القرآن العظيم"، دار ابن حزم لبنان، سورة المائدة، ط1، ص 569.

2 - ينظر: الشاطبي، "الموافقات" شرح وتخريج الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، جزء 03، ص 257.

3 - ابن كثير : المصدر نفسه ، ص 569، رواية الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد.

4 - الحاكم في مستدركه ، نقلا عن ابن كثير، برواية الإمام أحمد عن أسماء بنت زيد، ص 569.

وقد اختلف العلماء في وقت نزول هذه السورة، وفي نزولها مفرقة أو جملة واحدة، فقد روي في كتب الحديث والتفسير عدة روايات في أنها نزلت جملة واحدة، روي عن عبد الله بن عمر قال: "أنزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها".¹

وهناك روايات أخرى تروي أنها نزلت في أماكن مختلفة فقد ثبت في الصحيحين عن عمر -رضي الله عنه- أن قوله تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..."²، نزلت عشية عرفة، يوم الجمعة عام حجة الوداع،³ وذكر ابن عطية في تفسيره عن أبي حاتم عن مقاتل أن آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُتْلَوَ لَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصِّدِّ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَدَلِ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 94] نزلت عام الحديبية،⁴ وسورة المائدة في الترتيب القرآني تحتل المرتبة الخامسة، وعدد آياتها مائة وعشرون آية، ولها عدة مسميات مثل: العقود، الأحبار، الأخيار، والمنقذة.⁵

2.1 مقاصد سورة المائدة: اشتملت السورة الكريمة على كثير من الأحكام والقضايا التشريعية، ومن أهمها: ذكر مقاصد التحليل والتحريم، كتحريم الدماء والأموال، وعقوبة المعتدين، وتحريم الخمر من تمام حفظ العقل والدين، وتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير والمنخقة، وتحريم الصيد في حال الإحرام، وإحلال الطيبات، واشتملت أيضاً على ذكر ما يختص بشريعة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- كأحكام الوضوء والحكم بالقرآن، وذكرت أن مَنْ ارتدَّ عن دين الإسلام

1 - محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج 6، ص 69.

2 - سورة المائدة، الآية 03.

3 - ينظر: أبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري الجعفي، "الجامع الصحيح المختصر"، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط 3، ص 187.

4 - ينظر: ابن المنذر التميمي، "الجرح والتعديل" مجلس دائرة المعارف.

5 - محمد الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر، تونس 1984، ج 6، ص 69.

عوض الله بخير منه إيماناً ونصرة للدين، ولا يزال دين الإسلام قائماً كاملاً يُحلُّ حلاله ويُحرّم حرامه.¹

2. تحليل دلالات تكرار الأساليب وعلاقتها بتثبيت الأحكام في ذهن المخاطب:

إن دراسة كلام الله تعالى وتحليله ومحاولة تفسيره واستنباط مقاصده لغاية ورآه كثير من فروع الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، بمختلف مذاهبها، وتعدد مساعيها وتنوع مناهجها، وإن ظاهرة التكرار عامة مألوفة في شتى اللغات والفنون، وهو أسلوب موجود في اللغة العربية لم ينكره أحد، فهو طريق من طرق التعبير، ومسلك من مسالك الفهم في اللغة العربية التي جاء القرآن العظيم بلغتها، ولاستعمال التكرار دلالات ومقاصد عند الكثير من العلماء، كالجاحظ، وابن جني، وابن سنان الخفاجي، وبدر الدين الزركشي، ويظهر لمتتبع التكرار عبر النصوص التي أوردها العلماء، اهتمامهم بالعملية التخاطبية بما فيها: المتكلم والنص والمتلقي (من خلال إلحاحهم على البعد التأثيري)، والسياق والمقاصد (من خلال التذكير دائماً بالفائدة وبالحكمة مرة أخرى)،² وللتكرار في سورة المائدة مساهمة في بناء الفهم الجمهوري للأحكام الشرعية.

¹ - ينظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، "تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث"، ص 359.

² - ينظر الفاتح بوزري، "مقاصد التكرار في القرآن"، جامعة الجزائر - اللسانيات، مجلد 08، العدد 01، ص 11.

1.2 التكرار في ضوء "معهود العرب": يقوم التكرار في سورة المائدة على مقتضى "معهود لسان العرب" ، والقرآن متجه إلى العرب ، هو معجز لفصاحتهم ، وعاداتهم في الخطاب.¹

أ - الترادف لتقرير المعنى: يؤكد الإمام الطبري أن القرآن نزل بلسان العرب وعاداتهم في التخاطب.²

ب - بناء العادات اللسانية: يرى العلماء، أن تكرار الأساليب يهدف إلى جعل المعنى يستقر حتى يصير كـ "العادة" التي هي طبيعة ثانية للإنسان، وبذلك تصبح الأحكام المكررة قدراً مشتركاً يستوعبه كافة (الفصحاء والعامة).³

ج. تحقيق القوة الإنجازية: يعمل التكرار كـ "مثير أسلوبى" يشحن الخطاب بالقوة الإنجازية التي تضمن وصول مقصود الشارع إلى المكلف بعيداً عن الاحتمالات التأويلية البعيدة.⁴

2.2 - آليات التكرار في سورة المائدة (الدراسة التطبيقية):

1.2.2-شبكة النداء الإيماني واستثارة الوعي التشريعي:

1 - محمد الطاهر بن عاشور ، "التحرير والتنوير" ، ج 06 ، ص 107.
2 - ينظر: الإمام الطبري، "جامع البيان عن تأويل القرآن"، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، ج 8، ص 5-7.
3 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية ، المرجع السابق، ص 76.
4 - مجدد عدة، المقولات الأصولية، المرجع نفسه، ص 47.

✍ المنبه الإفهامي(الأسلوب): قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"¹.

✍ الدلالة: تكرر نداء الإيمان ست عشرة مرة، وهو ما يشكل "شبكة إعلامية" متكاملة للتنبيه،² والنداء هو التعبير النحوي الأكثر خلوصاً للوظيفة الإفهامية، وفي المائدة يأتي النداء كتوطئة قبل الأحكام الثقيلة (الوضوء، العدل، القصاص، الصيد)، ليستنهض صفة الإيمان في نفس المكلف قبل إلقاء الأمر.³

✍ ربط الهوية بالامتثال (التثبيت): تكرر النداء يهدف إلى ترسيخ فكرة أن الامتثال هو مقتضى عقد الإيمان، فكلما تكرر النداء، تكرر تذكير المؤمن بأن مخالفته للحكم هي خدش لهويته الإيمانية.⁴

ويعمل التكرار كفاصل إيقاعي يمنع الرتابة الذهنية في النصوص التشريعية الطويلة، في كل مرة يطرق النداء سمع المخاطب تهيأ نفسه للاستقبال حكم جديد (وضوء، قصاص، صيد...) مما يرسخ في ذهنه أن المرجعية في كل شؤون حياته هي مرجعية إلهية واحدة.⁵

2.2.2- تكرر معهود الموائيق لترسيخ الوحدة الموضوعية:

1 - سورة المائدة، الآية 01.
2 - زهراء عبد الأمير السلامي وعباس زاده، "عناصر الاتساق في سورة المائدة، تكرر النداء نموذجاً"، مجلة الكلية الإسلامية، ص 04.
3 - حسينة بن حسن وكمال بخوش، "حجاجية الأمر والنهي في القرآن الكريم"، دراسة تحليلية لنماذج سورة المائدة، مجلد 11 عدد 01، ص 246.
4 - ينظر: حسينة بن حسن وكمال بخوش "حجاجية الأمر والنهي في القرآن الكريم - دراسة تحليلية لنماذج سورة المائدة مجلد 11 عدد 01، 2024/06/30، ص 245-246.
5 - ينظر: امحمد الطاهر ابن عاشور محمد الطاهر، "التحرير والتنوير"، تونس، الدار التونسية للنشر، ج 6، ص 75.

✍ **المنبه الإفهامية:** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ¹﴾.

✍ **الدلالة:** افتتحت السورة بطلب الوفاء بالعقود ثم تكرر ذكر الميثاق ست عشرة مرات بمرادفها العهد، ثم تكرر ذكر الميثاق في مواضع شتى، لربط السورة كبنية واحدة تمنع تجزئة الخطاب.²

✍ **ربط الهوية بالامتثال:** إن تكرار لفظ "الميثاق" في قصص بني إسرائيل، وعيسى عليه السلام يهدف إلى تصوير الشريعة كصورة واحدة يخدم بعضها البعض كأعضاء الإنسان، ويرى العلماء بأن الوصل بين النصوص وفهمها من حيث سوابقها ولواحقها أمر ضروري³، وتكرار الحديث عن الميثاق ونقضه (كما في قصة رفض دخول الأرض المقدسة) يعد تحذيراً مكرراً للمؤمنين لضمان بقاء قصد الامتثال حاضراً.⁴

3.2.2. - تكرار أساليب الطلب والوعيد:

✍ **المنبه الإفهامي:**

- الأمر قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ⁵﴾.
- قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ⁶﴾.

1 - سورة المائدة، الآية 01.

2 - ابن عاشور، المصدر نفسه، ج 6، ص 2180

3 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 71.

4 - ينظر: ابي جعفر بن جرير الطبري، "جامع البيان والتأويل أي القرآن" تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ج 8، ص 8-9.

5 - سورة المائدة الآية 01.

6 - سورة المائدة، الآية 02.

✍ **الدلالة:** يتكرر الوعيد لتثبيت هيبة الأحكام الجنائية كحد الحرابة والقصاص، الذي أوجب الامتثال لشريعة الله عن طريق الوفاء بالعقود.¹

✍ **التثبيت:** التكرار يكرر ترسيخ قاعدة أن مجرد قصد الامتثال لأمر أو نهى أو إذن كافٍ في حصول كل عرض، فالمكلف حين يسمع تكرار الوعيد يدرك جدية التكليف وسلطة الأمر.²

4.2.2 تكرار القصص كأداة للتعزيز الإدراكي والاعتبار:

✍ **المنبه الإفهامي:** ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾³.

✍ **الدلالة:** تكرار تفاصيل القصص مثل قصة موسى مع الجابرة، وقصة ابني آدم في سياق الأحكام الجنائية والسياسية.

✍ **التثبيت:** يهدف التكرار القصصي إلى تثبيت مبدأ الحكم الكلي،⁴ فتكرار تفاصيل جريمة القتل غايتها الإخبار بما كتب على بني إسرائيل بياناً للمسلمين أن حكم القصاص من شرع سالفاً ومراد الله قديم، لأن لمعرفة تاريخ الشرائع تبصرة

1 - ابن عاشور "التحرير والتنوير" - الدار التونسية - تونس قسم ج 2 ص 2371

2 - حسينة بن حسن وكمال بخوش "حاجية الأمر والنهي في القرآن الكريم - دراسة تحليلية لنماذج سورة المائدة" مجلد 11/ العدد 01، 2024 ص 24.

3 - سورة المائدة، الآية 32

4 - ينظر: ابن عاشور "التحرير والتنوير"، الدار التونسية - قسم 2، ج 2، ص 2467

للمتفهمين، وتطميناً لنفوس المخاطبين وإزالة لما عسى أن يعترض من الشبه في أحكام خفيت مصالحها كمشروعية القصاص.¹

5.2.2- تكرار أسلوب التقرير الشرطي (التلازم بين الفعل والجزاء):

✍ **المنبه الإفهامي:** قال تعالى: "وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ"²، تكررت ثلاثة مرات (الكافرون، الظالمون، الفاسقون)، وقوله تعالى: "وإن كنتم جنبا فاطهروا"³.

✍ **الدلالة:** الشرط يربط بين السبب والمسبب برابط عقلي منطقي لا يقبل الجدل، مما يعطي الحكم صفة "القانونية المطلقة".

✍ **التثبيت:** يرسخ هذا الأسلوب في ذهن المخاطب "حتمية النتيجة"، فالشرط يزيل الاحتمال، ويجعل الحكم الشرعي ثابتاً كثبات القوانين الكونية، مما يدفع المكلف للحذر الشديد وتوطين النفس على التنفيذ لتجنب الجزاء المرتبط بالشرط.⁴

6.2.2- تكرار أسلوب الحصر والقصر (حماية الحقيقة التشريعية):

¹ - ينظر ابن عاشور، المصدر نفسه ، ص 2294.

² - سورة المائدة، الآية 58.

³ - سورة المائدة، الآية 06.

⁴ - ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، الدار التونسية - تونس، قسم 2، جزء 2، ص 2468-2527.

✍ **المنبه الإفهامي:** قال تعالى: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا"¹، وقال تعالى: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ"².
✍ **الدلالة:** الحصر هنا "إضافي وتحقيقي" يهدف إلى نفي الأوهام أو التقاليد الجاهلية السابقة، وحصر الحق في النص القرآني فقط.
✍ **التثبيت:** الحصر يعمل على تضيق دائرة التأويل، فهو خبر مستعمل في معنى الأمر والقصر والمستفاد من إنما قصر الصفة على معنى موصوف قصراً حقيقياً³، فالحصر —(إنما) يدرك الحكم لا يقبل الزيادة أو النقصان، مما يثبت الحكم في ذهنه كحقيقة نهائية غير قابلة للمساوات أو الالتفاف⁴.

7.2.2- تكرار أسلوب التذييل بالأسماء الحسنى (التعليل الصفاتي):

✍ **المنبه الإفهامي:** قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾⁵، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾⁶.
✍ **الدلالة:** هذا التذييل الأسلوبي يربط التشريع بالصفة، فالحكم بالعدل نابع من كونه "عزيزاً حكيماً" وتحريم الخبائث نابع من كونه "خبيراً".
✍ **التثبيت:** الحكم يمنح هذا الأسلوب "قدسية" للحكم الشرعي فالمخاطب لا يرى في الحكم مجرد نص قانوني، بل يرى فيه تجلياً لصفات الله، مما يحول الامتثال من طاعة مجردة إلى عبادة مراقبة، وهو أعلى درجات التثبيت الذهني والسلوكي من خلال البدء بالتذييل إلى تعريض التهديد⁷.

8.2.2 تكرار الاستفهام الإنكاري والتقريري:

1 - سورة المائدة، الآية 55.

2 - سورة المائدة، الآية 33.

3 - ينظر: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر - تونس، ج6، ص 2358.

4 - ينظر: الجرجاني، "دلائل الإعجاز" تحقيق محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني 1992 ص 268.

5 - سورة المائدة، الآية 95.

6 - سورة المائدة، الآية 98.

7 - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، نفس المصدر، قسم2، ج2، ص2371.

✍ **المنبه الإفهامي:** قال تعالى: ﴿...أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا...﴾¹ وقال أيضاً: ﴿...فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾..

✍ **الدلالة:** وضع المخاطب أمام خيار العقل: إما حكم الله الكامل أو حكم الجاهلية الناقص، الذي تقررين اليهود.

✍ **التثبيت:** عندما يجيب المخاطب بقلبه (انتهينا) يثبت الحكم كقناعة ذاتية، وليس كمجرد أمر خارجي.²

9.2.2 تكرار اللفظ للأعداد (الضبط الكمي):

✍ **المنبه الإفهامي:** قال تعالى: ﴿فَشَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ...﴾³.

✍ **الدلالة:** الأرقام لغة قطعية، وتكرارها في آيات المائدة يثبت الضوابط الإجرائية للأحكام القضائية.

✍ **التثبيت:** تكرار لفظ (الواحد) يكون في سياق الألوهية، و(الاثنين) يكون في سياق العدل، يخلق توازناً في روع السامع، حيث يربط بين وحدانية المشرع ودقة التشريع مما يرسخ الحكم كبناء منطقي متكامل.

3. جدول إحصائي تحليلي يرصد الوارد في السورة:

أسلوب الخطاب	الشاهد القرآني	التكرار
--------------	----------------	---------

¹ - سورة المائدة، الآية 50.

² - انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، قسم 2، ج2"، ص 2515-6605.

³ - سورة المائدة، الآية 106.

33 مرة	كافة صيغ النداء في السورة	النداء الإجمالي ¹
16 مرة	"يا أيها الذين آمنوا" آيات: 1 - 2 - 6 - 8 - 11 - 35 - 51 - 54 - 57 - 81 - 90 - 94 - 95 - 101 - 105 - 106.	نداء المؤمنين ²
5 مرات	"يا أهل الكتاب" الآيات: 15 - 19 - 59 - 68 - 77.	نداء أهل الكتاب ³
مرتان	"يا أيها الرسول" الآيات: 41 - 67.	نداء الرسل ⁴
10 مرات	(يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ) 3 مرات، (يَا قَوْمَ) مرتان، (يَا مُوسَى) مرتان، (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)، (يَا أُولِي الْأَلْبَابَ)، (يَا وَيْلَتَى) مرة واحدة	نداءات الأنبياء والحوار ⁵
74 مرة	صيغة الفعل المباشرة: (أَوْفُوا)، (فَاعْسِلُوا)، (كُونُوا)، (اتَّقُوا)	الأمر التشريعي ⁶
مرتان	(فَلْيَتَوَكَّلِ) الآية 11، (وَلْيَحْكُمْ) الآية 47	الأمر بالمضارع ⁷
مرة واحدة	(عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ) الآية 105 بمعنى الزموا	اسم فعل الأمر ⁸
39 موضعاً	صيغة لا تفعل: (لَا تُحِلُّوا)، (لَا تَتَّخِذُوا)، (لَا تُحَرِّمُوا)، (لَا تَقْتُلُوا)	النهي التشريعي ⁹
متعدد	(أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ) الآية 116، (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) الآية 112، (هَلْ تَنْقُومُونَ مِنَّا) الآية 59	الاستفهام ¹⁰

- 1 - الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن": تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ج8، طبعة 01، 2001م، ص 05.
- 2 - بوشطوب حواء، محاربي هاجر، "دلالة أسلوب النداء في القرآن الكريم: سورة المائدة أنموذجاً" المركز الجامعي بميلة، ص 214، ص 40.
- 3 - بوشطوب حواء، محاربي هاجر، المرجع نفسه، ص 46 - 48.
- 4 - بوشطوب حواء، محاربي هاجر، لمرجع نفسه، ص 35.
- 5 - بوشطوب حواء، محاربي هاجر، المرجع نفسه، ص 42 - 45 - 43 - 49 - 50.
- 6 - حسينة بن حسن ورد، كمال بخوش، "حاجية الأمر والنهي في القرآن الكريم - دراسة تحليلية لسورة المائدة"، مجلة علوم اللغة، مجلد 11، العدد 01، جوان 2024م، ص 245.
- 7 - حسينة بن حسن، كمال بخوش، المرجع نفسه ص 245.
- 8 - حسينة بن حسن، كمال بخوش، المرجع نفسه ص 244.
- 9 - حسينة بن حسن، كمال بخوش، المرجع نفسه ص 248 - 249.
- 10 - بوشطوب حواء، محاربي هاجر، "دلالة أسلوب النداء في القرآن الكريم: سورة المائدة أنموذجاً" المركز الجامعي مليه، ص 52

المتعدد	(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ) آية 40، (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ) آية 116 كاستفهام تقرير	التقرير ¹
نماذج تطبيقية	(أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ) آية 96، مطلق للمحرم وغيره.	المطلق ²
نماذج تطبيقية	(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) 03 قيدت بـ (فَمَنْ اضْطُرَّ)، (فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ) 104، قيدت بالحيوان المأكول	المقيد ³

1.3 التحليل التداولي للجدول: من المعلوم أن الأساليب باختلاف أنواعها في القرآن الكريم تعتبر صورة من صور البلاغة، ووجه من أوجه البيان وطريقة من طرق الوعظ والإرشاد، ومنهج من مناهج أوامره ونواهيه، ووعد ووعيده، حتى يكون الإنسان على دراية بأحكام تصرفاته وأقواله، ومن خلال إحصاء الأساليب التي وردت في سورة المائدة خرجنا بالنتائج التالية:

✍ **الوظيفة الإفهامية:** تعتبر سورة المائدة ميثاق، لأن النداء والأمر فيها هما أساس التكليف الشرعي، فكل منهما يفيدان طلب الفعل وطلب الترك، حيث يعمل النداء كمنبه لتهيئة المكلف، بينما يمثل الأمر القوة الإنجازية التي تهدف لتحقيق الامتثال الفوري، فالإمام الشاطبي يفسر كثرة النداءات والأوامر من بين المسائل التي وضعت لـ "الإفهام".⁴

✍ **ابن عاشور والسبك النصي:** يرى ابن عاشور أن تكرار النداء ست عشرة مرة للمؤمنين، وقد تناول مناسبة تكرار النداء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) في بداية السورة، وتكرارها في الآية الثانية في قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)

¹ - أبي جعفر الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" ت د عبد السند حسن يمامة، طبعة 01، القاهرة 2001م، ج 14، ص 12.
² - أبي جعفر الطبري، المصدر نفسه، ص 723.
³ - أبي جعفر الطبري، المصدر نفسه، ص 115.
⁴ - ينظر: الشاطبي، "الموافقات" شرح وتخريج الشيخ عبد الله دراز - دار الكتب العلمية، ج 3، ص 255.

أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ حيث قال: اعترض بين الجمل التي قبله وبين جملة (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا) ولذلك أعيد الخطاب بالنداء بقوله " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"، إذ جعل ابن عاشور لل تكرار دوراً أساسياً في إدارة مضامين النص، حيث أضاف مضموناً جديداً، وكان لا بد من هذا التكرار، ففي بداية الجملة أخذت موقعاً يفصل بين تنمة مضمون واحد، فحتى تحافظ الآيات على تسلسلها وتحديد مضامينها جاء تكرار النداء، وعبر ابن عاشور عن هذه الجملة التي ابتدأت بتكرار النداء بأنها (اعترض)، إذ وضح بهذه الأبنية المتداخلة وبين طريقة تسبكها،¹ أي أن ابن عاشور يعتبر تكرار النداء هو اعتراضاً أسلوبياً يجدد نشاط الذهن ويقسم السورة إلى وحدات تشريعية مترابطة فيمنع التجزئة، ويقوي اتساق النص.

المقيد والمطلق: تبرز مرونة التشريع من خلال تقييد المطلق بقرائن السياق أو النص، فالمطلق في تحريم الميتة **قَيَّدَ** بحالة الضرورة، والمطلق في حل الصيد **قَيَّدَ** بنوعه (مأكول)، وبحال المكلف (إحرام) مما يحقق دقة الوظيفة الإفهامية.²

بينما يرى **جاكسون** أن النداء هو أسلوب إفهامي له مرتكزاته حيث يقول: "ويعد التوجه نحو المرسل إليه، أي الوظيفة الإفهامية تعبيره النحوي الأكثر خلوصاً في النداء والأمر..."، من حيث محتواه فهو منه يستدعي مخاطباً بصيغة لفت الانتباه وتبعثه على الاهتمام لكونه **طرفاً** جوهرياً في التواصل، فهو منه يثير استجابة متوقعة من المخاطب.³

1 - إحسان محمد الحسيني، التكرار بوصفه أحد آليات السبك النصي عند ابن عاشور "مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية" مجلد 12، العدد 01 - 2021، ص 117.

2 - ينظر: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر تونس 1984 قسم 2، جزء 2، ص 2373.

3 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 76.

ويرى جون أوستين بأن الأوامر والنواهي هي مرتكز الثقل ضمن أفعال الممارسة والسلطة، حيث أن الفعل اللغوي في (أوفوا) ليس إخباراً عن الوفاء بل هو إنشاء للالتزام فور النطق، حيث يرى بأن الأمر كصيغة من "افعل" تفيد الحدث هو المصدر وهو جنس عام شامل لجميع الأفراد الداخلة تحته.

المحور الثاني: مناسبة الأساليب لحال المخاطبين وتحقيق الإفهام:

1. تحليل أسلوب النداء والأمر في سورة المائدة ومناسبتها لعقيدة المخاطبين وعاداتهم:

1.1 أساليب النداء: تعد سورة المائدة "سورة العقود" بامتياز، تمثل مرحلة النضج التشريعي في بناء الأمة الإسلامية، وتبرز أهمية هذا البحث في تمييز سورة المائدة بالنداءات الست عشرة الموجهة للذين آمنوا، ليس بوصفها أدوات لغوية فحسب، بل بوصفها منظومة تعاقدية راعت "معهود العرب" في الخطاب، وعالجت عاداتهم المتجذرة، لتصهرها في بوتقة العقيدة الجديدة، والهدف هو تحليل هذه النداءات تحليلاً أصولياً ولغوياً مع بيان مناسبتها للبناء العقدي للمخاطبين.

تتميز سورة المائدة بأنها من أواخر ما نزل من القرآن الكريم لترسيخ النظام النهائي للمجتمع الإسلامي، وتصحيح انحرافات العقائد السابقة، وإلى جانب نداء المؤمنين هناك نداءات أخرى خصت أهل الكتاب وعددها خمسة، ونداءان للرسول، ونداء على لسان موسى عليه السلام ونداءات مختلفة فالعلماء، ويرون أن تصدير الأحكام بالنداء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) هو استمالة للقلوب لتقبل المشقة، فإله يذكرهم بصفة الإيمان ليعلموا أن الامتثال لهذه

الأوامر (كالوضوء وترك الخمر والوفاء بالعقود) هو مقتضى الإيمان وعلامته الصادقة كما ذهب المفسرون إلى أن النداء بـ (يا أهل الكتاب) أو (يا بني إسرائيل) جاء في سياق إقامة الحجة وتعزية العادات المنحرفة ككتمان العلم والغلو في الدين وهو نداء يجمع بين اللين في الدعوة و الشدة في المحاجة العقيدية،¹ فنداء التذكير بالأصل هو لدفعهم نحو التصحيح العقيدي وترك ما استحدثوه من بدع وعادات.²

○ تحليل نداء العقود: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ.....).³

يرى ابن جرير الطبري أن العقود هنا هي العهود التي أخذها الله على المؤمنين بالإيمان والطاعة، وعقود الناس بينهم،⁴ بينما يذهب الزمخشري أن تصدير السورة بالنداء بصفة الإيمان فيه "تهيج" لوازع التقوى، فالمؤمن الحقيقي لا يحتاج لرقيب خارجي ليفي بعهده⁵، ويرى سيد قطب أن هذا النداء جاء ليربط

1- بنظر: العلامة جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبكان، ج، 2 ص 882
2 - ينظر: أبي جعفر بن جرير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي قرآن": تحقيق وعلق حواشيه محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ج 10، ص 143-144.

3 سورة المائدة، الآية 1

4 - ينظر: الطبري، "جامع البيان والتبيين عن تأويل آي القرآن"، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر، ج 8، ط 01 القاهرة 2001م، ص 05.

5 - ينظر: الزمخشري، "الكشاف" تحقيق الشيخ عادل أحمد الموجود وعلي محمد معوض مكتبة العبيكة، ج 2، ص 822.

المؤمن بمنهج رباني يتجاوز "الأرضية المصلحية"، ليحوّل الوفاء من عادة اجتماعية متغيرة إلى عقيدة ثابتة يُسأل عنها العبد أمام الله.¹

✍ **مناسبة العقيدة والعادة:** كانت العرب في الجاهلية تعتزّ بالوفاء للحليف، لكنها كانت تنقض العهد إذا رأت في ذلك مصلحة قبيلة، فجاء النداء ليقطع عادة نقض العهود للمصلحة ويستبدلها بعقيدة الوفاء المطلق لله، حتى لو كان الوفاء ضد مصلحة الفرد الشخصية.

○ **تحليل نداء العدالة الشاملة:** قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ)².

يؤكد **القرطبي** أن النداء يفرض العدل حتى مع الكافر والمبغض وهو أصل من أصول التشريع،³ ويوضح ابن كثير أن النداء يطلب "القوامة" (المبالغة في القيام بالحق) لتكون ديناً لا يفارق المؤمن⁴، ويشير **الشعراوي** أن النداء نبه إلى أن العمل يجب أن يكون "لله"، لأن العدل للبشر قد يشوبه الرياء، أما "لله" فهو عبادة صافية تكسر نزعة الهوى النفسي، فهي تعظيم لله وأمره.⁵

✍ **مناسبة العقيدة والعادة:** واجه النداء عادة التأثر والشنآن (البغض) التي كانت تدفع الجاهلي لظلم عدوه، العقيدة هنا جاءت لتكبح جماح العادات الانتقامية، وتفرض العدالة الكونية كبديل للعصبية القبلية.

○ **تحليل نداء أهل الكتاب:** قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا).⁶

1 - ينظر: سيد قطب، "في ظلال القرآن"، دار الشروق، مجلد 01، ط 32، ج 6، ص 825.

2 - سورة المائدة، الآية 8

3 - ينظر: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، ج 6، ط 1، ص 372.

4 - ينظر: أبي إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، "تفسير القرآن العظيم"، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط 1، ص 597.

5 - ينظر: الشعراوي، "تفسير الشعراوي"، أخبار اليوم قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، ص 2999.

6 - سورة المائدة، الآية 15

يرى **الفخر الرازي** أن النداء بأهل الكتاب هو توبيخ لهم لأن من يملك الكتاب لا ينبغي أن يتخذ إخفاء الحق عادة لهم¹. ويضيف **محمد** لضمان السلطة **رشيد رضا** أن هذا النداء كشف العلل النفسية لرجال الدين الذين اعتادوا احتكار المعرفة الدينية²، فقد أخفوا كثيراً من الأحكام.

✍ **مناسبة العقيدة والعادة:** أهل الكتاب اعتادوا على عادة النخبوية المعرفية، وكتمان البشارات بالرسول صلى الله عليه وسلم، النداء جاء ليصح مسارهم العقدي بالعودة، وصدق البلاغ، ونبذ عادة التحريف التي أورثوها لأتباعهم، والإيمان هو منبع النعم الحاصلة لهم .

○ **تحليل نداء النهي عن الغلو:** قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ)³

يرى **ابن كثير** أن الغلو هو الداء الذي أفسد عقائد الأمم السابقة بمجاوزة قدر الأنبياء،⁴ وتوضح **وهبة الزحيلي** أن النداء حذر من عادة الاتباع الأعمى للأهواء التي تخرج العقل عن ميزان الوحي والذي يجلب المنفعة لهم.⁵

✍ **مناسبة العقيدة والعادة:** واجه النداء عقيدة تأليه المسيح (النصارى) وعادة احتقار الأنبياء (اليهود)، الهدف هو إحلال عقيدة الوسطية والعبودية محل عادات الغلو والجفاء.

1 - ينظر: الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلاء ضياء الدين عمر، المستشهد بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب"، دار الفكر للطباعة، ج11، ص 193.

2 - ينظر: محمد رشيد رضا "تفسير المنار"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، ج6، ص303.

3 - سورة المائدة، الآية 77.

4 - ينظر: أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم"، دار ابن حزم طبعة 01/2000م، ص639.

5 - ينظر: وهبة الزحيلي التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، دار الفكر المعاصر ج 6، ط 2، 2003م، ص 2113- 2115.

○ تحليل نداء العصمة: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)¹.

يرى الزمخشري أن وصف الرسول بالدعوة يقتضي استغراق الجهد في التبليغ دون مبالاة بجموع المعارضين، من دون خوف أو تراجع،² ويضيف ابن كثير في معنى الآية أنها وعدٌ بالعصمة ليقطع عادات الحذر البشري من كيد اليهود والمنافقين،³ ويحلل محمد الغزالي هذا النداء بأنه يبرز استقلالية العقيدة عن "المدارة الاجتماعية" التي قد يفرضها واقع البيئة المعادية.⁴

✍ مناسبة العقيدة والعادة: كان واقع المدينة يفرض الحذر السياسي فجاءت العقيدة عبر النداء لتفرض الصدع بالحق كبديل لعادات المراهنة.

2.1 أساليب الأمر: تُعدّ سورة المائدة سورة العقود والمواثيق الكبرى في النص القرآني، إذ تميزت ببنية تشريعية تهدف إلى صياغة المجتمع المسلم الجديد، ويمثل أسلوب الأمر فيها أداة مركزية لتحقيق الوظيفة الإفهامية التي أصل لها العلماء، معتبرين أن الشريعة وضعت للإفهام، ولا يتحقق هذا المطلب إلا إذا ورد الخطاب وفق معهود العرب في لسانهم وعاداتهم في التخاطب، ومن بين صور التخاطب

1 - سورة المائدة، الآية 64.

2 - ينظر: الزمخشري، "الكشاف"، تحقيق الشيخ عادل أحمد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكة، ج2، ص 961.

3- ينظر: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، "تفسير القرآن" (الطبعة الأولى)، دار ابن حزم 2000م، لبنان، ص 637.

4 - ينظر: محمد الغزالي، "نحو التفسير الموضوعي لسور القرآن"، دار الشروق، القاهرة، ص 88.

تلك التي تكون بصيغة الأمر "افعل"، وفي السورة نحو أربعة وسبعون مرة، هدف هذا الأمر توجيه العقول واستمالة النفوس نحو الامتثال.

وتتجلى عبقرية الخطاب في سورة المائدة في تصدر معظم الأوامر بنداء وهو ما حلله العلماء من عدة زوايا:

✍ أسلوب الإغراء: يرى المفسرون كالطبري وابن عاشور أن تصدير التكليف بصفة الإيمان يمثل نوعاً من الإغراء، فكأن لسان الحال يقول إن إيمانكم يقتضي منكم الوفاء بهذا الحكم، فالعقيدة هنا هي المحرك الأول والباعث الرئيسي للامتثال السلوكي.

• العدل والقوامة (الآية 08): في قوله تعالى: "كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ" ².

هنا رُبط الأمر بالعدل بصفة الإيمان لجعلها رقيباً ذاتياً يمنع المكلف من الحيف حتى مع الخصوم (شأن قوم) مما يحول الأمر سلطة خارجية إلى قناعة عقدية. ³

• الوفاء بالعقود: قال تعالى: "...أَوْفُوا بِالْعُقُودِ..." ⁴.

¹ - ينظر: الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن": تحقيق عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر، طبعة 01، القاهرة 2001م، ج 8، ص 12.

² - سورة المائدة: الآية 08.

³ - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 1، ص 2251-2253.

⁴ - سورة المائدة، الآية 01.

لفظ "العقود" في معهود العرب مشتق من عقد الحبل وهو الربط والتوثيق المحكم، والوفاء حفظ العقد ما يقتضيه العقد والقيام بموجبه.

○ مناسبة العقيدة والعادة: خاطبهم القرآن بمفهوم يعظمونه في جاهليتهم (الوفاء بالعهد)، فنقل هذا العرف الاجتماعي إلى رتبة التشريع الديني الملزم، ليشمل العهود مع الله (عقد الإيمان)، والعقود بين الناس (البيوع والأنكحة)، والله نادى عباده وأمرهم بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود؛ أي إكمالها وإتمامها وعدم نقضها.¹

✍ تحليل أوامر الإباحة والامتنان:

✓ قال تعالى: "فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ".²

✓ قال تعالى: "وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا".³

يرى الفخر الرازي، وابن عاشور أن الأمر هنا خرج عن "الوجوب" إلى الإباحة والتحليل.⁴

. مناسبة العقيدة والعادة: هي مراعاة عادات العرب في الصيد وطلب الحل في المأكولات، فوجه الشارع عاداتهم لتتفق مع التوحيد والطيبات.

1 - بوشطوب حواء، محاربي هاجر، "دلالة أسلوب النداء في القرآن الكريم سورة المائدة نموذجاً"، المركز الجامعي-ميلة، 2014م، ص 26.

2 - سورة المائدة، الآية 04.

3 - سورة المائدة، الآية 88.

4 - ينظر: محمد فخر الرازي: "مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)"، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، بيروت، ج11، ص144، ج12، ص76.

✍ تحليل الأمر بالطهارة:

✓ قال تعالى: "إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ".¹

نقلت هذه الأوامر التفصيلية "النظافة" من عادة اجتماعية إلى تكليف شرعي وجوبي شرطه الإيمان مما يربط طهارة الجسد بقدسية العقيدة.²

✍ تحليل الأمر بالتقوى والتذكير بالمنن:

✓ قال تعالى: "وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ..".³

✓ قال تعالى: "...وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ...".⁴

جرى الخطاب على سنن العرب في التذكير بـ "أيام الله" ومنتته للاستدراج عطف المخاطب وتحفيزه على الاستجابة الطوعية، واستخدم لفظ "الوسيلة" (القربة) وهو مفهوم المعهود عند العرب في طلب الحاجات من العظماء⁵

خلاصة: إن تحليل أسلوب النداء والأمر في سورة المائدة يشكلان نسيجاً تداولياً متكاملأ يسهم في تحقيق الوظيفة الإفهامية التي تجعل المكلف قادراً على استيعاب المقصد الشرعي والعمل به.

✍ تحليل وظيفة أسلوب النداء والأمر في نظريات أوستين وجاكيبسون: إن التوجيه لا يتحقق بمجرد الإخبار، بل عبر هندسة تواصلية دقيقة حيث يلتقي

1 - سورة المائدة، الآية 06.

2 - ينظر: محمد الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ج12، ص 152.

3 - سورة المائدة، الآية 07.

4 - سورة المائدة، الآية 35.

5 - ينظر: زلاقي حميد، "أهمية معهود العرب في تلقي الخطاب الوحي" مجلة دراسات، المجلد12، العدد1، 2023، ص906.

نموذج جاكيبسون في تركيز الخطاب نحو المتلقي مع نظرية جون أوستين في تحويل القول إلى فعل منجز¹.

1. رومان جاكيبسون والنزوع نحو المتلقي في أسلوب النداء: يرى جاكيبسون أن لكل عملية تواصل وظيفة مهيمنة،² وفي سورة المائدة تبرز الوظيفة النزوعية أو الإفهامية (function\ conative) كأداة مركزية للخطاب.³

أ. النداء كأرقى تمثيل للنزوعية: يقرر جاكيبسون أن هذه الوظيفة تجد تعبيرها النحوي الأكثر خلوصاً في أسلوب النداء، لأنه يتوجه مباشرة إلى المرسل إليه لإحداث أثر فيه،⁴ وفي سورة المائدة نجد أن النداء الذي تكرر يعمل كمنبه استحضاري يبعث المخاطب على التعبد والامتثال.⁵

ب. تحليل "نداء المؤمنين": تكرر صيغة "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" ست عشرة مرة يمثل عند جاكيبسون تكثيفاً للوظيفة الإفهامية، فذكر صفة الإيمان يعمل كفعل إغراء يمهّد الطريق لنجاح الرسالة، حيث يتم تهيئة المتلقي نفسياً لتقبل الأحكام التشريعية اللاحقة للنداء.

فالجوهر اللساني للوظيفة هي كيفية اشتغالها داخل اللغة، والتركيز يكون فيها بالانتقال من الموضوع أو المرسل إلى الرسالة لذاتها، أي الكلمات لا تساق فقط لإيصال المعلومة بل تعتني بطريقة صياغتها.⁶

2- جون أوستين والقوة الإنجازية لأسلوب الأمر: ينقل جون أوستين التحليل اللساني من مستوى "وصف اللغة" إلى مستوى "إنجاز الفعل بالكلام"، فكل ملفوظ يتضمن قوة إنجازية تهدف لتغيير واقع السامع، فهناك تداخل بين "صدق

1 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 64

2 - رومان جاكيبسون "قضايا الشعرية" ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، الدار البيضاء - دار توبقال للنشر 1988م ص 28.

3 مجدد عدة، المرجع نفسه، ص 76

4 - رومان جاكيبسون، المصدر نفسه، ص 29.

5 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 76.

6 - رومان جاكيبسون "القضايا الشعرية"، المصدر نفسه، ص 77 - 79.

القول" و"قوته الإنجازية"، ومن هنا يتبين أن حتى "التقارير" تخضع لظروف التوفيق (النجاح والفشل).¹

أ. الأمر كفعل ممارسة: **Exercitives** : صنف مسعود صحراوي الأمر ضمن أفعال الممارسة والسلطة التي تقتضي إنشاء الالتزام²، وفي قوله تعالى: "أوفوا بالعقود" (المائدة 01) نجد أن القوة الإنجازية illocutionary force تكمن في تحويل اللفظ إلى ميثاق ملزم فور النطق به، وهي قوة تستمد نجاعتها من سلطة المتكلم (الله عز وجل)³، فالأمر والتوجيه هي أفعال ممارسة.

ب) - الفعل التأثيري: **perlocutionary Act** : يركز أوستين على الأثر الناتج في السامع، وهو ما يسمى في الخطاب الشرعي بـ **قصد الامتثال**⁴، إن تضافر فعل الأمر المباشر الذي ورد في السورة مع سياقات الوعد والوعيد يولد طاقة حجاجية تدفع المكلف نحو الامتثال الطوعي محققاً بذلك الخضوع والانقياد.⁵

3- **تكامّل النداء والأمر لتحقيق الإفهام** : إن الإفهام عند جاكبسون وأوستين ليس مجرد وصول المعلومة، بل هو "نجاح الفعل التواصل" في إحداث التغيير.⁶

التفسير الوظيفي: يعمل النداء (عند جاكبسون) على فتح قناة التواصل وتعيين المرسل إليه، بينما يقوم الأمر (عند أوستين) بتفريغ الشحنة الإلزامية في تلك

1- ينظر: أوستين "نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام" ترجمة عبد القادر قنيني، الناشر إفريقيا الشرق، ص 173 - 174.

2- حسينة بن حسن وكمال بخوش كمال، "حجاجية الأمر والنهي في القرآن الكريم دراسة تحليلية لسورة المائدة"، مجلة علوم اللغة العربية، مجلد 11، عدد 01، 2022م، ص 241 - 242.

3 - ينظر: محمد العبد "تعديل القوة الإنجازية؛ دراسة في التحليل التداولي للخطاب"، إربد: عالم الكتب الحديث، 2014م ص 137.

4 - أوستين، المصدر نفسه، ص 117 - 118.

5 - حسينة بن حسن وكمال بخوش، المرجع نفسه، ص 441-442.

6 - ينظر: رومان جاكبسون، قضايا الشعرية"، ترجمة محمد الولي المبارك حنون، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 1988، ص 29.

القناة، هذا التكامل يضمن أن المكلف في سورة المائدة لا يتلقى أحكاماً مجردة، بل يعيش تجربة ميثاقية، تستنهض وازعه العقدي (عبر النداء) وتوجه سلوكه العملي عبر الأمر.²

2. فاعلية "المعهود" في تيسير فهم الأحكام التشريعية (تحليل نماذج من العقود والمواثيق): تتأسس مرونة الشريعة وقابليتها على مقصد الإفهام وهذا المقصد يكون وفق معهود العرب، لأن القرآن نزل بلغة لسان العرب وأساليبهم المألوفة في الخطاب والتفكير.

1 - الوظيفة النزوعية والنداء عند جاكبسون وفاعلية المعهود:

أ. فاعلية المعهود في تيسير فهم "العقود" في سورة المائدة: افتتحت سورة المائدة بأمر تشريعي جازم "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ" - المائدة 01، وتكمن فاعلية المعهود في هذا الموضوع من خلال:

1 . دلالة لفظ "العقود" في المعهود العربي: يرى العلماء، أن اختيار لفظ العقد تحديداً دون غيره له فاعلية إفهامية خاصة، إذ إن "لفظ العقد في لسان العرب يدل على الربط والتوثيق المحكم بالحبل ونحوه"³، وقد سمي الله التكليف عقوداً لأنه ربطها بعباده كما يربط الشيء بالحبل الموثق للدلالة على قوة العلاقة.⁴

1 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 66-74.
2 - احسان محمد الحسين، "السبك الذهني عند ابن عاشور بوصفه أحد آليات التكرار في سورة المائدة والانعام نموذجاً"، مجلة الزرقاء للبحوث، مجلد 21، عدد 01، 2021م، ص 121.
3 - حسين فالح نجم، "تحليل النص القرآني" سورة المائدة، جامعة المعقل، ص 03.
4 - حسين فالح نجم، الرجوع نفسه، ص 03.

. شمولية "العقود" وتيسير فهمها :نقل ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير {أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} قوله: "يعني ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حدّ في القرآن كله، فلا تغدروا ولا تنكثوا"¹، ويفصل زيد بن أسلم أنواع هذه العقود التي فهمها العرب بموجب معهودهم في التعامل، قائلاً: "إنها ستة: عهد الله، وعقد الحلف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد اليمين"².

د- فاعلية المعهود في "ميثاق بني إسرائيل": في تحليل قوله تعالى: "...وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ..."، يربط العلماء بين "الميثاق" والمعهود اللساني، فالميثاق عند أوائل المخاطبين هو "التوثيق باليمين ونحوها من الأمور التي تؤكد القول"³، فكان ذكر الميثاق كافياً لإفهامهم غلظ الالتزام بفرائض الصلاة والزكاة المذكورة في سياق الآية.⁴

1.4 فاعلية المعهود في تحقيق "قصد الامتثال": وإن المعهود ليس مجرد أداة للفهم بل هو دافع لتحريك السلوكات والتصرفات، إذ يقول الشاطبي: «... فَإِنَّ النَّاسَ فِي الْفَهْمِ وَتَأْتِي التَّكْلِيفُ فِيهِ...»⁵، إن الربط بين "وصف الإيمان" في النداء "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" وبين "أَوْفُوا بِالْعُقُودِ" يمثل قمة فاعلية المعهود، حيث

1 - ينظر، ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم" لسورة المائدة، وينظر: مجلة البيان "سورة المائدة: العقود والمواثيق"، العدد 471، 2026م، ص 570.

2- ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، سورة المائدة، ج 3، ص 570.

3 - ينظر: الطبري، "تفسير الطبري"، تحقيق بشار عواد معروف، المجلد 3، مؤسسة الرسالة، ط1، 1994م، بيروت، ص 50.

4 - حسينة بن حسن وكمال بخوش، "حاجية الأمر والنهي في القرآن الكريم - دراسة تحليلية لسورة المائدة"، مجلة علوم اللغة، مجلد 11، عدد 01، 2024م، ص 244 - 245.

5 - الشاطبي، "الموافقات" تحقيق وتخريج الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، المقاصد جزء 03، ص 267.

استنهض الشارع الوازع العقدي المعهودي لدى المؤمنين منبهاً استحضاري لضمان تنفيذ الحكم التشريعي المذكور فوراً.¹

ويرى رومان جاكبسون أن الخطاب الذي يتركز حول "المرسل إليه" يمثل "الوظيفة النزوعية أو الإفهامية" "Conative function" والتي تجد تعبيرها النحوي الأكثر خلوصاً في أسلوب النداء.²

1.5 فاعلية الإغراء: إن النداء هنا يخرج من كونه مجرد أداة تنبيه إلى كونه "فعل إغراء" بذكر وصف الإيمان، وهو يطابق رؤية جاكبسون في توجيه الرسالة نحو المتلقي لتغيير موقفه الذهني وجعله مستعداً للامتثال للحكم.³

1.6 القوة الإنجازية للأسلوب الأمر عند أوستين: ينقل أوستين بالتحليل اللساني إلى مستوى "إنجاز الفعل بالكلام" حيث يتضمن الملفوظ "قوة إنجازية" illocutionary force التي تهدف إلى تغيير واقع المكلف، فالعبارة الإنشائية لا يقصد بها قول الشيء، وإنما إنجاز الشيء [07]، وأنها لا توصف بالتصديق ولا الكذب.⁴

1 - مجدد عدة، "المقولات الأصولية في وضع الشريعة للإفهام لدى الإمام الشاطبي"، مجلد 14، العدد 02، جوان، ص 76.

2 - رومان جاكبسون، "قضايا شعرية": ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ص 29.

3 - حسنية بن حسن وكمال بخوش، "حجاجية الأمر والنهي في القرآن الكريم: دراسة تحليلية لنماذج من سورة المائدة"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 18، عدد 01، 2024، ص 246.

4 - جون أوستين، "نظرية أفعال الكلام العامة: كيف تنجز الأشياء بالكلام"، ترجمة عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق 1991 ص 17 - 39.

1- الأمر بالوفاء كفعل ممارسة: (Exercitives) في بداية السورة أوُقُوا بالعُقُودِ ، فإن النص لا يكتفي بالإخبار عن الوفاء، بل يُنشئ التزاماً ميثاقياً فورياً،¹ القوة الإنجازية هنا تستمد نجاعتها من "سلطة المتكلم" (الله عز وجل)، مما يجعل الإفهام في أعلى درجات القطعية والإلزام، وهذا باعتبار أن الأمر هنا نابع من علاقة سلطوية بين الله وعباده المؤمنين.²

2. تكامل النداء والأمر: يظهر تكامل النداء والأمر في استخدام أسلوب النداء، لتهيئة وجذب الانتباه، يليه أسلوب الأمر مباشرة لتحديد المطلوب وتوجيه السلوك، فهو عبارة عن تمهيد نفسي للمخاطب وطلب الفعل للوصول إلى الغاية المقصودة من الخطاب فاجتماع الأمر والنهي يرفعان القوة الإقناعية والتأثيرية للكلام .

3. الإفهام عبر الأساليب بمقتضى سليقة العرب (تحليل حوارات عيسى عليه السلام وقصة ابني آدم):

يمثل الإفهام عبر الأساليب القرآنية ذروة البلاغة حيث ينزل النص على "سليقة العرب"، وطبيعة لسانها مخاطباً العقول والقلوب بأدوات التعبير المختلفة من: أمر ونهي وحوار واستفهام، يظهر ذلك جلياً في الأسلوب الحجاجي والقصصي في القرآن الكريم.

1 - حسينة بن حسن ،وكمال بخوش، المرجع نفسه، 246.

2 - حسينة بن حسن و كمال بخوش، المرجع نفسه، ص 252.

1.3 تعريف السليقة: هي استعمال لغوي وراثي يسترسل فيه المتكلم لغته على سجيته وطبعه من غير تعمدٍ إعرابه أو تجنبٍ للحن، أو هي عملية تواصلية من غير شعورٍ وإدراكٍ لقواعد اللغة المستعملة، وقد ارتبطت في التراث **بلغة العرب الأوائل**، الذين لم تخالط ألسنتهم العجمة، فكان كلامهم حجة في نظمه وبيانه، وقد غلبت هذه السليقة لاحقاً بظهور العجمة واضطراب كلام العرب، مما استدعى وضع قواعد النحو لحمايتها.¹

وكما ذكرنا في المباحث السابقة أن الشاطبي أصل لقاعدة أن: "الشرعية وضعت للإفهام... ولا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم"²، والقصد من ذلك هو "تنظيم أحوال الناس وتحقيق مصالحهم ولا يتأتى ذلك إلا بخطاب يناسب مستواهم المعرفي واللساني"³.

2.3 مستويات الإفهام: للإفهام مستويين رئيسيين يندرجان تحت قاعدة معهود العرب، وهما يمثلان التدرج من المعنى البسيط المشترك إلى المعاني العميقة المرتبطة بخصوص اللغة وهما:

➤ **مستوى الإفهام الأصلي (المعاني الأصلية):** هي للدلالة على الأحكام بإطلاق ولا يسع فيه خلاف على الإطلاق، كالأوامر والنواهي.

1 - أحمد جاليلي، "السليقة اللغوية"، مجلة الأثر جامعة ورقلة، العدد 4 ماي 2005م، ص 297.

2 - الشاطبي، "الموافقات"، شرح وتخريج الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية جزء 03 ص 265.

3 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 69.

➤ **مستوى الإفهام التبعية (المعاني التبعية):** وهو المستوى الذي يفهم منه معان زائدة على المعنى الأصلي أي تظهر فيه "عبقرية اللسان العربي" البلاغية والأسلوبية.¹

أ. **تحليل حوارات عيسى عليه السلام في سورة المائدة:** يعد الحوار القرآني من أبرز الوسائل التعبيرية التي اعتمدها القرآن في تبليغ المعاني في ترسيخ المقاصد العقدية والتربوية، إذ جاء الخطاب القرآني موافقاً لما تعهده العرب في أساليب التخاطب وطرائق الإفهام، وقد تجلّى ذلك بوضوح في حوارات عيسى عليه السلام في سورة المائدة حيث تنوعت الأساليب بين الاستفهام، النفي والشرط والأمر بما حقق الوظيفة الإفهامية للخطاب القرآني، اعتماداً على مقتضيات المقام والسياق التداولي.

1 الإفهام بالاستفهام في الحوار الإلهي مع عيسى عليه السلام: يظهر أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ).²

➤ **التحليل وسياق الحوار ومقاصده التداولية:** ورد الاستفهام في هذه الآية خارجاً عن معناه الحقيقي إلى أغراض تداولية تتمثل في الإنكار وتقرير الحجة في مقام المحاورّة، ويقع هذا الحوار - وفقاً للأظهر من أقوال المفسرين - يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين، والغرض من السؤال الإلهي: "أَأَنْتَ قُلْتَ

1 - الشاطبي، المصدر نفسه، جزء 3، ص 273.

2 - سورة المائدة - القرآن الكريم - آية 116.

لِلنَّاسِ....." ليس استخباراً، فالله هو الخالق، بل هو توبيخ النصارى وتقريعهم على رؤوس الأشهاد¹، إن هذا الانتقال في الخطاب يهدف إلى إقامة الحجة وتثبيت بطلان المعتقدات الزائفة عبر شهادة الرسول على أهم².

2 أسلوب النداء والاستفهام (الوظيفة الإفهامية):

✧ **نداء التنبيه:** يفتح الله عز وجل الخطاب بالنداء (يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ)، وهو نداء يهدف للفت الانتباه والإصغاء، وتقرير الحجة في مقام المحاوره³، والسليقة العربية تدرك أن تصدر القول بالنداء، بأنه يعمل كمنبه استحضاري يفتح قناة التواصل ويحضر وعي المتلقي قبل إلقاء الرسالة لكونه طرفاً جوهرياً في التواصل، يمكن اعتباره منبهاً يثير استجابة متوقعة من المخاطب⁴.

✧ **الاستفهام الإنكاري:** إن الاستفهام في " أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ " هو استفهام بغرض الإنكار والتقرير⁵، وهو أسلوب ينسجم مع معهود العرب في كلامهم، فالعرب تستعمل الكنايات، والتعريض لتقرير الحجج العقدية، والاستفهام الذي وُجّه إلى عيسى عليه السلام هو حقيقته إدانة دامغة لمن عبده فهنا نلمس مخالفة ظاهر

1 - ينظر: الرازي، "مفاتيح الغيب التفسير الكبير"، ج 12، ص 142 - 143.

2 - إحسان محمد الحسيني "التكرار بوصفه أحد آليات السبك النصي عند ابن عاشور، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات، مجلد 21، عدد 01، 2021، ص 117.

3 - بوشطوب حواء، محاربي هاجر، "دلالة أسلوب النداء في القرآن الكريم - سورة المائدة أنموذج"، جامعة ميله، ص 26.

4 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 76.

5 - ينظر الإمام محمد الرازي فخر الدين، "مفاتيح الغيب التفسير الكبير"، ج 12، دار الفكر للطباعة والنشر، ط 1، ص 142-143.

اللفظ لمعناه وتعتبر أحد الطرائق في تعاملها مع الخطاب،¹ وهو جار على أساليب معهودهم.

3- بلاغة الردّ وعظمة العبودية بمقتضى السليقة: تظهر عبقرية اللسان العربي وسليقته في جواب عيسى عليه السلام عبر مستويات عدة:

✍ **التأدب والتنزيه:** بدأ عيسى رده بـ (سُبْحَانَكَ) بمعنى سبحانك لا علم لنا لأن هذا يجري مجرى دعوة الطهارة والنزاهة، والمقام مقام الخضوع والتواضع، وهو مبالغة في الأدب، وإظهار الذل والمسكنة في حضرة الجلال وتفويض الأمور بالكلية إلى الحق سبحانه.²

✍ **إثبات العبودية وقصد الامتثال:** قوله: (مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) أظهر قول عيسى عليه السلام من خلال رده على الله عز وجل إقراره بالعبودية التامة والمطلقة، والتي تقتضي ألا يتجاوز العبد رتبته وهذا ما يطابق "معهود العرب" في إظهار التذلل للخالق.³

✍ **القوة الإنجازية للصدق:** بقوله (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُهُ) يفرغ عيسى (القوة الإنجازية) لصدقه، محيلاً الأمر إلى علم الله المحيط، وهو ما يحول الخطاب من مجرد قول إلى "واقع سلوكي ممتثل"،⁴ ويعكس هذا الخطاب أدب النبوة والتعامل مع الله سبحانه في سير الأنبياء عليهم السلام، وقوله: "تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا

¹ - ينظر: قلاش عمر "معهود العرب اللساني عند الشاطبي"، جامعة وهران، ص 05.

² - ينظر: الرازي، "مفاتيح الغيب التفسير الكبير"، دار الفكر، لبنان، ج 12، ص 143.

³ - ينظر الطبري، "جامع البيان": تحقيق بشار عواد مؤسسة الرسالة معروف، ج3، ص 20.

⁴ - ينظر: حسينة بن حسن وكمال بخوش، حاجية الأمر والنهي في القرآن الكريم دراسة تحليلية لنماذج من سورة المائدة، ص 242

أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ" ،¹ يبرز التفاوت بين الخالق والمخلوق، وهو أصل التوحيد الذي يهدف إليه الإفهام.²

ب حوار المائدة: قال تعالى: "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ".³

✎ الوظيفة الإفهامية: يعمل النداء ك: منبه استحضاري (وفق منظور جاكبسون) لفتح قناة التواصل، وحصر وعي المرسل إليه قبل إلقاء الطلب.⁴

✎ مقتضى السليقة: السليقة العربية لدى العرب تدرك أن افتتاح الكلام بالنداء يراد به تثبيت الأمر في نفس السامع، وغالباً ما ترتبط هذه الوظيفة بالتداولية، بحيث يرجى منها التواصل مع السامع ويلفت انتباهه، والمخاطب هو الهدف في أي عملية تواصلية تتعلق بالوظيفة الإفهامية.⁵

✎ طلب المائدة والقوة الإنجازية للأمر: عند سؤال الحواريين " هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ " جاء رد عيسى عليه السلام: " اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " ⁶

هنا استعمل أسلوب الأمر بالتقوى كفعل إنجازي يهدف لتعديل الموقف الذهني للمخاطبين، وزجرهم عن التعنت وهو ما يولد طاقة حاجية كبيرة تندفع

1 - سورة المائدة، الآية 116.

2 - حسنية بن حسن، كمال بخوش، " ، المرجع نفسه، ص 141.

3 - سورة المائدة، الآية 112.

4 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الإفهامية، المرجع السابق، ص 76.

5 - إحسان محمد الحسيني، "السبك النصي عند ابن عاشور" سورة المائدة، مج 21، ع 1، 2021 م، ص 119.

6 - سورة المائدة، الآية 113.

المتلقي نحو الطاعة،¹ أي أن أسلوب عيسى عليه السلام -جمع بين النداء، والأمر بالتقوى، ومقامه كنبى، قد خلق قوة إقناعية حاصرت عقولهم، ودفعهم فوراً إلى التسليم والامتثال لمراد الله، وهو ما ينسجم تماماً مع سليقة العرب في إدراك المقاصد الخطابية من خلال رتبة المتكلم وسياق الكلام.

ب- تحليل حوار قصة ابني آدم (المائدة: 27-31)

الفعل التوجيهي واستدعاء الأسماع: الآية 27: تبدأ القصة بقوله تعالى: (وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ...)2.
● القوة الإنجازية للطلب: يمثل فعل الأمر "إِثْلُ" فعلاً كلامياً توجيهياً يمتلك "قوة إنجازية" مستمدة من مقام الأمر وسلطته (الله عز وجل) إلى المبلغ (الرسول)3.
● وظيفة التنبيه: يهدف تصدير القصة بهذا الأمر إلى "استدعاء الأسماع" وتهيئتها لتلقي مضمون التكليف، وهو ما يتوافق مع "معهود العرب" في تقديم الحجج اليقينية لزيادة استحضر أذهانهم4.

1 - حسينة بن حسن وكمال بخوش، "حجاجية الأمر والنهي في القرآن الكريم-دراسة تحليلية لسورة المائدة"، مجلة المدونة، مجلد 11، عدد 01، جوان 2024م، ص 242.
2 - سورة المائدة، الآية 27.
3 - ينظر: حسينة بن حسن وكمال بخوش، حجاجية الأمر والنهي في القرآن الكريم: دراسة تحليلية لنماذج من سورة المائدة، المدونة، مجلد 11، جوان 2024، ص 241.
4 - إحسان محمد الحسني، "السبك النصي عند ابن عاشور، سورة المائدة والأنعام نموذج"، مجلة الزرقاء للبحوث، مجلد 21، عدد 1، 2021، ص 16.

● **قيد الحق:** إن وصف النبأ بأنه "بالحق" يعمل على حصر الإمكانيات التأويلية لدى السامع ليدرك أن ما سيلقى عليه هو واقع سلوكي ممثّل وليس مجرد أسطورة.¹

✎ **تداولية الحوار والصراع الحجاجي (الآيات 27-29):** يتجسد الصراع التداولي في القصة من خلال تقابل فعلين كلاميين متناقضين:

● **فعل التهديد:** (قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ)،² يمثل هذا القول "إنشاءً للالتزام بالشر" وهو فعل إنجازي يفرّغ شحنة الحسد واليقين لدى القاتل، فالسليقة العربية تدرك أن هذا التهديد تجاوز كونه إخباراً بالنية إلى كونه "قوة توجيهية" عدوانية تستوجب ردعاً.³

● **فعل الرد الوعظي:** (قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)،⁴ جاء الرد كفعل "توجيهي" إرشادي يهدف لتعديل الموقف الذهني للطرف الآخر، هذا الرد يملك طاقة حجاجية كبيرة لأنه نقل الصراع من القوة المادية إلى القوة العقدية، مبيّناً أن التقوى هي "المعهود" الوحيد لقبول القربان.⁵

¹ - حسينة بن حسن وكمال بخوش، المرجع نفسه، ص 241، وينظر: عمر قلالش، "معهود العرب اللساني عند الشاطبي"، ص 84.

² - سورة المائدة، الآية 27.

³ - ينظر: حسينة بن حسن وكمال بخوش، المرجع نفسه، ص 242.

⁴ - سورة المائدة، الآية 27.

⁵ - ينظر: حسينة بن حسن وكمال بخوش، "حجاجية الأمر والنهي في القرآن: دراسة تحليلية لنماذج من سورة المائدة"، مجلة المدونة مج 11، عدد 1، جوان 2024، ص 242.

• **فعل كف اليد:** (لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك...) ¹، هنا يفرغ الأخ المقتول القوة الإنجازية لصدقه لله، محيلاً الأمر إلى علم الله وخشيته، مما يحول الخطاب إلى نموذج للوفاء بالمواثيق الإلهية ².

3 - القوة التأثيرية والمعهود الحسي (الآيات 30 - 31):

✎ **الفعل التأثيري:** تنتهي القصة بوقوع الندم والخسران (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ³، الغرض التداولي من ذكر هذه النتيجة هو إحداث أثر تخويفي وزجري في المتلقي، ليتحول الخطاب إلى زجر عن البغي ⁴.

✎ **المعهود الحسي (حادثة الغراب):** (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَايَ سَوْءَ أَخِيهِ...) ⁵، استثمار حادثة الغراب يراعي السليقة العربية التي تعتمد على "المشاهدة والحواس" في تلقي المعارف الضرورية، مما يجعل عملية "الإفهام" ناجعة لبساطتها ووضوحها التداولي ⁶.

1 - سورة المائدة، الآية 28.

2 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الافهامية، المرجع السابق، ص 54-74.

3 - سورة المائدة، الآية 30.

4 - مجدد عدة، المقولات الأصولية في الوظيفة الافهامية، المرجع السابق، ص 74.

5 - سورة المائدة، الآية 31.

6 - أحمد شيخ عبد السلام، "معهود العرب في تلقي الخطاب الديني"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ص 586.

خاتمة

خاتمة:

بعد فراغنا من إعداد هذه المذكرة التي قيض الله لنا فيها فرصة سمحت بمناقشة قضية من قضايا العصر، المتمثلة في المعهود اللساني خاصة في جانب الإفهام للقرآن الكريم.

ومن خلال عملنا هذا المتضمن المعهود اللساني في القرآن الكريم في ضوء الوظيفة الإفهامية، والذي يتطلب جهدا كبيرا في البحث استخلصنا جملة من النتائج نذكر منها:

✍ الترابط بين المعهود والامثال، حيث أثبتت الدراسات أن المعهود اللساني العربي، ليس مجرد أسلوب لغوي بل هو ضابط معياري الذي قصده الشارع لتحقيق "الوظيفة الإفهامية، فالفهم الصحيح لا يتأتى إلا بالانضباط بسنن العرب في التخاطب وقت التنزيل.

✍ الخطاب القرآني ليس مجرد إخبار، بل هو حدث كلامي يهدف لإحداث أثر ملموس في نفس المتلقي.

✍ تظافر العناصر اللسانية (اللفظ، السياق، المثير الأسلوبي) في سورة المائدة حقق ما يسمى "الفهم الجمهوري"، وهو القدر المشترك من المعنى الذي يتضمن وحدة الامتثال في الأمة.

✍ سورة المائدة كنموذج للختام التشريعي، حيث خلص البحث إلى أن سورة المائدة تمثل النضج التشريعي النهائي، فأساليبها اللغوية (خاصة النداء والأمر) جاءت لترسيخ المواثيق والعقود النهائية للأمة، مما جعلها حقا "السورة المنفذة" وسورة العقود.

توصلت الدراسات الحديثة بأن الخطاب القرآني هو أداة إنجازية حيث يلتقي تأصيل الشاطبي مع نظريات أوستين وجاكسون في أن قول الحكم هو في حقيقته إنشاء للالتزام عملي يغير واقع المكلف.

أثر الحوار والقصص القرآني في تثبيت الذهني، فقد توصلت الدراسات الحديثة إلى أن استخدام الأسلوب الحوارية (كحوارات عيسى بن مريم، وقصة ابني آدم) يعمل كـ"مثال معهود" يقرب المعاني العقيدية والشرعية للحواس، مما يجعل عملية الإفهام ناجحة وبسيطة بعيدة عن التعقيد الفلسفي.

وفي الختام أدعو الله عز وجل أن يجعل هذا العمل من الأعمال الصالحة التي أنتفع وأنفع بها، وأن يكون شرفاً لي ولوالدي ولأساتذتي الكرام.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش

✍ المعاجم والكتب العربية :

1. ابن فارس أبو الحسن بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة : تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

2. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، طبعة 1.

✍ كتب التراث :

1. ابن كثير إسماعيل ابن عمر، "تفسير القرآن"، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.

2. أحمد المتوكل، "الوظائف التداولية في اللغة العربية"، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء.
3. الشاطبي، "الموافقات" شرح وتخريج الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2 - ج3.
4. الجرجاني، "دلائل الإعجاز": تحقيق محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني.
5. الرازي، "مفاتيح الغيب التفسير الكبير"، دار الفكر، لبنان.
6. الزمخشري، "الكشاف": تحقيق الشيخ عادل أحمد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكة، ج2.
7. سيد قطب، "في ظلال القرآن"، دار الشروق، الطبعة 1.
8. الشافعي، محمد ادريس، "الرسالة": تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.
9. الشعراوي، "تفسير الشعراء"، الخواطر، مطابع أخبار اليوم.
10. الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، الدار التونسية، تونس.
11. الطبري، "جامع البيان عن تأويل القرآن": تحقيق عبد الله التركي، دار هجر.
12. الغزالي، "نحو التفسير موضوعي لسور القرآن"، دار الشروق، القاهرة.
13. القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن": تحقيق عبد الله المحسن التركي، طبعة 1، لبنان.
14. محمد العبد، "دلائل القوة الإعجازية": دراسة في التحليل التداولي للخطاب، إربد، عالم الكتب الحديثة، 2014.
15. محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، طبعة 2.

✍ المراجع المترجمة:

1. جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، عبد القادر قنيني، الدار البيضاء إفريقيا الشرق.
2. رومان جاكسون، "قضايا الشعرية"، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر.

✍ المجلات والدوريات:

1. إحسان محمد الحسيني، "التكرار بوصفه أحد آليات السبك النصي عند ابن عاشور، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، مجلد 21، عدد 01.
2. أحمد شيخ عبد السلام، "معهود العرب في تلقي الخطاب الديني"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية.

3. باي بن زيد، "عادات العرب في الجاهلية وأثرها في فهم القرآن الكريم"، جامعة تلمسان، مجلة الدراسات الإسلامية، عدد 5، ديسمبر 2014.
4. حسينة بن حسن وكمال بخوش، "حاجية الأمر والنهي في القرآن الكريم: دراسة تحليلية لسورة المائدة، مجلة علوم اللغة، مجلد 11، عدد 01.
5. زلافي حميد، "أهمية معهود العرب في تلقي خطاب الوحي"، مجلة علوم علوم الشريعة.
6. قلالش عمر، "معهود العرب في تلقي الخطاب الديني"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، 2002.
7. مجدد عدة، "المقولات الأصولية الأصولية في الوظيفة الإفهامية: وضع الشريعة للإفهام لدى الإمام الشاطبي"، مجلة فصل الخطاب، مجلد 14، عدد 02، 2005.

✍️ الرسائل الجامعية :

1. بوشطوب حواء، محاربي هاجر، "دلالة أسلوب النداء في القرآن الكريم: سورة المائدة أنموذج، مذكرة ليسانس في اللغة، 2014-2015.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	إهداء
	شكر
أ-و	مقدمة
	المدخل
02	1. مفهوم المعهود اللساني
06	2. مفهوم الوظيفة الإفهامية
20	3. مفهوم الأميين
	الفصل الأول : المعهود اللساني والوظيفة الإفهامية (الأطر النظرية والتأصيلية)
24	المحور الأول: جذور المعهود اللساني ومسارات تشكل المنهجية بين السليقة الجاهلية والتععيد الإسلامي.
24	1. جذور المعهود اللساني
25	أولاً: الجذور اللغوية والاجتماعية قبل الإسلام
25	ثانياً: الجذور المنهجية بعد الإسلام
26	1-2: رواد المعهود اللساني في الفكر العربي
29	2. أنواع المعهود اللساني
30	أولاً: المعهود من حيث مستويات اللغة (الألفاظ، المعاني، الأساليب)
31	ثانياً: المعهود من حيث طبيعة الدلالة (المعنى الأصلي والتبعي)
31	ثالثاً: المعهود من حيث السياق المعرفي (معهود الأميين)
32	رابعاً: المعهود من حيث طبيعة العادة (القولية والفعلية)

33	3. علاقة المعهود بسياق اللغة وثقافة المخاطبين
33	1.3 تعريف السياق
35	2.3 أنواع السياق
38	3.3 آليات التفاعل بين المعهود والسياق
39	4.3 نماذج تطبيقية
40	5.3 تعريف المخاطبين
41	6.3 علاقة المعهود بالوضع المعرفي للمخاطبين
42	7.3 أثر المعهود في استجابة المخاطب (الامتثال)
43	المحور الثاني: الوظيفة الإفهامية في الدرس اللساني
43	1. عناصر الوظيفة الإفهامية
50	2. مستويات الإفهام (من اللفظ إلى استيعاب المقصد والامتثال)
50	1.2 معهود الخطاب
51	2.2 المعهود اللفظي
64	3. نظرية الأفعال الكلامية وعلاقتها بالامتثال الشرعي
	الفصل الثاني : تجليات المعهود اللساني وأثره في الإفهام في سورة المائدة
69	المحور الأول: رصد وتحليل الأساليب اللغوية في سورة المائدة
69	1. أسباب النزول لسورة المائدة
69	1.1 صفة نزول السورة ومكانتها في ختام التشريع
71	2.1 مقاصد سورة المائدة
71	2. تحليل دلالات تكرار الأساليب وعلاقتها بتثبيت الأحكام في ذهن المخاطب
72	1.2 التكرار في ضوء "معهود العرب "
73	2.2 آليات التكرار في سورة المائدة (الدراسة التطبيقية)
80	3. جدول إحصائي تحليلي يرصد الوارد في سورة المائدة
82	1.3 التحليل التداولي للجدول
84	المحور الثاني: مناسبة الأساليب لحال المخاطبين وتحقيق الإفهام

84	1. تحليل أسلوبى النداء والأمر فى سورة المائدة ومناسبتهم لعقيدة المخاطبين وعاداتهم
95	2. فاعلية المعهود فى تفسير فهم الأحكام التشريعية (تحليل نماذج العقود والمواثيق)
99	3. الإفهام عبر الأساليب بمقتضى سليقة العرب (تحليل حوارات عيسى عليه السلام وقصة ابنى آدم).
109	✍ خاتمة
114	✍ المصادر والمراجع
ز-ط	✍ الفهرس
	✍ الملخص

الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع المعهود اللساني في الخطاب القرآني، والتي تهدف إلى الكشف عن دور المعهود اللساني في تحقيق الإفهام، وإيصال المقاصد القرآنية إلى المتلقي، وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مستندة إلى مفهوم المعهود عند الشاطبي وبعض التصورات اللسانية والتداولية الحديثة، وقد ركزت على تحليل الأساليب اللغوية والخطابية الواردة في سورة المائدة، وبيان علاقتها بالبيئة اللغوية والثقافية التي نزل فيها القرآن، وتوصلت الدراسة إلى أن المعهود اللساني يمثل مرجعا أساسيا في فهم الخطاب القرآني وتأويله، إذ يسهم في توجيه الدلالة وتوضيح المقاصد التشريعية والتوجيهية، كما أن توظيف القرآن للأساليب المألوفة لدى العرب كان وسيلة فعالة لتحقيق الإفهام والإقناع، وحمل المخاطب على الامتثال، مما يؤكد أهمية المعهود اللساني في الكشف عن أبعاد الخطاب القرآني ووظائفه التواصلية.

الكلمات المفتاحية: المعهود، اللسان، الخطاب، القرآن، الوظيفة، الإفهام.

Abstract:

The study of linguistic convention in Qur'anic discourse aims to reveal its role in achieving understanding and conveying Qur'anic objectives to the recipient. This is based on Al-Shatibi's concept of convention and some modern linguistic and pragmatic perspectives, focusing on analyzing the linguistic and rhetorical styles found in Surah Al-Ma'idah and demonstrating their relationship to the linguistic and cultural environment in which the Qur'an was revealed. The study concludes that linguistic convention represents a fundamental reference in understanding and interpreting Qur'anic discourse, as it contributes to guiding meaning and clarifying legislative and directive objectives. Furthermore, the Qur'an's use of styles familiar to the Arabs was an effective means of achieving understanding and persuasion, and of compelling the addressee to comply. This confirms the importance of linguistic convention in revealing the dimensions of Qur'anic discourse and its communicative functions.

Key Words : Custom, Language, Discourse, Quran, Function, Understanding.